طلائع خراسان

مجلة دورية شهرية * تعنى بشئون الجهاد و المجاهدين في أفغانستان * ذو القعدة 1426 هـ

أرائك الحكمة:

جهاد من المهد إلى اللحد

دراسة العدد:

الاقتصاد الأفغاني

بعد أربع سنوات من الاحتلال الصليبي

واقع الجهاد في العراق وأفغانستان

من إصدارات اللجنة الإعلامية

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

طلائع خراسان

العدد الخامس

في هذا العدد

من المحرر:

عام الحسم بإذن اللّه

مع إشراقة العام الميلادي الجديد بدت نذر زوال قوى الكفر والطغيان وانتصار قوى الجهاد والإيمان.

بداية ساخنة في أفغانستان والعراق، ما بين عمليات استشهادية وبطولية يتطاير بعدها الأمريكان، وهجمات يفر منها المرتدون كالجرذان.

وإن كان الأمريكيون يصفون عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) بأنه الأشد دموية منذ احتلالهم الصليبي الغاشم لأفغانستان - حيث شهد أكبر عدد للقتلى والجرحى في صفوفهم هناك- ، فإن عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) سيكون عام كتابة شهادة وفاة الجيش الأمريكي الذي أثخنته الجراح ويستعد للرحيل (٢٥٠٠ جندي من أفغانستان ولا أقل من ٢٢٠٠٠ جندي من العراق) كخطوة أولى للانسحاب النهائي –بإذن الله- وبعدها لن تقوم لهذا الجيش الكافر قائمة، ولئن كان يخطط لترك كباش الفداء مما يسمى بـ"القوات متعددة الجنسيات" في أفغانستان وقوات المرتدين العملاء في العراق لتنجح فيما فشل فيه فإننا نبشرهم بأنها ستلقى نفس المصير - بإذن الله- .

ولعل أبرز تطور حدث على الساحة الأفغانية هو تزايد عدد العمليات الاستشهادية الأمر الذي يقتل الصليبيين رعباً وتخشى بسببه القوات الكندية أن تجد نفسها في الساحة وحدها في مواجهة الطالبان والقاعدة إذا ما فر الجميع من الميدان.

فابشري أمتنا الإسلامية بالنصر القريب، وأعدّي العدة لإقامة الإمارة الإسلامية من جديد.

الافتتـــاحيــة

تمخضت فأنجبت نفعياً وشيوعياً

بقلم/ حسـام عبد الـرؤوف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛
فما أشبه الليلة بالبارحة هذا ما ينطبق على المجالس النيابية الأفغانية التي انتخب أعضاؤها وأدوا ما يسمى باليمين الدستورية مؤخراً.

فما هو الفارق بين الوضع الأفغاني قبل تلك المسرحية الهزلية وبعدها، اللهم إلا تكريس الاحتلال وإعطائه الشرعية، ومنح الحصانة لعتاة المجرمين الانتهازيين والشيوعيين السابقين ليرتكبوا ما يرتكبونه باسم الدستور والقانون والنيابة عن الأمة.

والمستعرض لنتائج الانتخابات الرئاسية لمجلسي النواب والشيوخ وما أسفرت عنهما يظن أننا قد عدنا لفترة ما بعد الانسحاب السوفيتي الذليل من أفغانستان، حيث كانت نفس الوجوه - أو من نفس الكتل- تتصارع فيما بينها لتحصل على أكبر قدر من الغنيمة، ولكن مع الفارق الكبير فقد كانت الكعكة كلها مطروحة آنذاك للتنافس بين مجددي وسياف ورباني وحكمتيار ومحمدي وغيرهم، أما الآن فيتنافس سياف ومجددي وجماعة مسعود وبعض الذين كانوا ينتسبون للحزب الإسلامي "حكمتيار" وغيرهم، على الفتات الذي تبقى من مائدة الصليبيين المحتلين وعملائهم المرتدين ولا يهم بعد ذلك بقاء المحتل الصليبي من ذهابه، واستمرار مسلسل نهب الثروات، وتفشي الأمراض الجنسية والاجتماعية لتحصد ما تبقى لدى الشعب الأفغاني المسلم من قيم ورجولة وحب للدين - إلا أن يتغمدهم الله عاجلاً برحمته- ، وينتفضوا للقضاء على قوى الكفر والبغي والعدوان، ويعيدوا لأفغانستان وجهها الجهادي، المستعليّ بإيمانه، المستعصيّ على المحتلين الخارجيين وأذنابهم من العملاء الأفغان.

لقد لخصت إحدى النائبات الأفغانيات في المجلس النيابي ما يعنّ في نفوس الشعب عندما قالت: "أنا محبطة لأن المجلس امتلأ بأمراء الحرب ومجرميها وزعماء تجار المخدرات!" إن هؤلاء طبقاً لمصادرنا الخاصة أصبحوا يشكلون طبقة جديدة من رجال الأعمال والمستثمرين الذين بيدهم كل مشاريع التعمير ويحرمون الطبقة المتوسطة من لعب أي دور في الحياة السياسية أو العامة.

واللافت للنظر أن المجلس النيابي قد انقسم إلى كتل متصارعة - بينها ما صنع الحدّاد- ، فكتلة لمن كانوا يحسبون قادة للمجاهدين السابقين، وكتلة للشيوعيين - والتي تنقسم بدورها إلى خلقيين وبرشميين- ، وكتلة لمن كانوا يعلنون الولاء للإمارة الإسلامية ثم انقلبوا على أعقابهم، وكتلة لأتباع الإدارة الأفغانية والمنتفعين من الاحتلال الصليبي لأفغانستان.

والسؤال الذي يتبادر للذهن هو: كيف يجتمع من يدّعى الإسلام والرغبة في الإصلاح مع كبار المفسدين والمرتدين تحت سقف واحد وفي ظل احتلال صليبي غاشم يفسد الدين والدنيا؟!.

ثم ما الفارق بين الاحتلال السوفيتي الشيوعي والاحتلال الأمريكي الصليبي حتى نقاتل الأول ونَسِمُه بالكفر والردّة، ونرضى بالثاني ونستظل بظله ونعترف بشرعيته؟!.

وهل الانخراط في "اللعبة السياسية" في ظل ما وصفناه، والالتزام بقواعد "الديمقراطية المزعومة" هو الطريق الأمثل لتخليص أفغانستان من مشكلاتها العضال: احتلال- ردّة- فقر- فساد- نهب للثروات؛ أم أن الطريق الأمثل هو تطهير البلد من السوس الذي ينخر في جسده واستئصال الأعضاء التي فسدت منه، وقتل العامل الخارجي المسبب لمنع معالجة المريض حتى تقضي الأمراض عليه؟!.

فالواجب على الأمة دعمُ المجاهدين الذين يخوضون حرباً غير متكافئة في الموازين المادية الأرضية، ولكن بمعية الله لهم وصبرهم وتضحياتهم بالنفس والنفيس سيغيرون المعادلة ويحققون ما تصبوا الأمة إليه وعندها سيعلو الحق وأهله،

{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} - الشعراء ٢٢٧-

أرائــك الحكمــة

أودعتها حِكَمـاً يعـزُّ نظــيرها فاشـدد يديك بغـرزها وتمسَّـكِ
ماء الحياة جـرى فنضَّر وجهها فتخـالُ وجــهَ محـدِّثٍ متنسِّـكِ
ووهبتها عشـرين عـاماً مُهجتي فإذا المشـيب مُناصحي في مَسلكي
فلأرْعَـينَّ وما حَييتُ حقـوقها فعلَ الكـريم وإنْ بُـلي بالأضْنكِ

"جهاد من المهد إلى اللحد"

الغاية من الحياة

بين معاول الهدم وعوامل البناء (٢/١)

بقلم: الشيخ أبي الوليد الأنصاري

أحمد الله ﷻ وأصلي وأسلم على النبي المبجل الأجلّ:

أما بعد، فأوّلُ القيلِ:

كل من في الكـون يشـكو دهـره ليت شــعري هــذه الدنيـا لِمَـنْ

تعددت الأدواء والأصل واحد

المتأمل في أحوال الفئات العاملة لهذا الدين يصيب بسهام البصر والبصيرة مواقع أقوال وأعمال تمس مفهوم "الغاية من الحياة" تحتاج إلى التنقيح والتصحيح بإعمال النظر، وبذل مزيد الحيطة والحذر، لدلالتها على انحراف في المفاهيم وخلل في مقدمات العقول من ناحيةٍ، ولأثرها البالغ على أعمال المرء وسعيه من ناحية أخرى.

الجناية على مفهوم التقوى

- منها: انحصار مفهوم التقوى في العبادة الفردية: من صلاة وصيام وحج وقراءة القرآن وعكوف على الذكر والدعاء ونحو ذلك، أما التقوى في تحصيل مصالح المسلمين الكلية ودفع المفاسد عن دينهم ودنياهم، والتقوى فيما تحصل به سعادة الأمة بل سعادة البشرية كلها؛ من التعاون والتآلف والاجتماع على أنواع الطاعات والقربات، ومن ذلك تذليل الدنيا لصالح الآخرة؛ فأمر لا يكاد يذكر إلا قليلاً. والتقوى بهذا المعنى الأخير هي الأصل في الشرع والدين بل كل عبادة من العبادات؛ فهي من جهة مشروعة مأمور بها لما لها من أثر على خدمة المصالح الكلية وتحقيقها، ألا ترى قول الله تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) والانتهاء عن هذه الثلاثة خدمة للأمة كما ترى، كما أنها خدمة للفرد - ولابد- ، بل إن خدمة المصالح الكلية

وتحقيقها هو ناموس الحياة وقانون الخليقة، ألا ترى الوالدين يسعيان في تربية الأبناء وتعليمهم ثم في تزويجهم وهما بذلك يعلمان أنهما يعدونهم لخلافتهما في الحياة بعد رحيلهما عنها! وكذلك حال المعلم مع التلاميذ وحال أفذاذ القادة وصالحي الأمراء مع الأتباع، وحال الكبير مع الصغير والمتقدم مع المتأخر! ولا يشذ عن ذلك إلا من أراد الله تعالى له الشقاء والحرمان، وليس هذا خاصاً بأمة الإسلام وحدها بل هو ميزان عند الأمم جميعها.

واقرأ إن شئت ما ورد في كتب حكمة اليونان أن (سولون) الحكيم (ولد سنة ٦٤٠ ق.م وتوفي سنة ٥٥٩ ق.م) خرج من أثينا مغاضباً قومه لما عصوا نصيحته فأرسل إليه الملك (كرسيوس) خطاباً، فلما قدم عليه حقر ما رآه من الزينة والزخرف، فقال له الملك: من أسعد الناس في نظرك؟ فقال له: الملك (طيلوس) كان محباً لأهل أثينا مسبغاً النعم عليهم، فلما أن مات حزنوا عليه كلهم أجمعون، فتعجب الملك (كرسيوس) من سولون وقال: فمن بعده؟ قال: أخوان شابان أكرما أمهما، ولقد كانت تغدو كل يوم للصلاة في المعبد، فاتفق أن سائق العربة لم يوافها يوماً فجَرَّ الأخوان عربتها بدل الثورين فدعت لهما فعاشا قريري العين وأحبهما الناس حباً جماً، ولما ماتا حزن عليهما أهل أثينا. فقال الملك: أفلا تعدني سعيداً ياسولون؟ فقال: "أنت أسعد من كثير من الناس، ولكن انتظر العاقبة"، فغضب الملك من سولون وأبعده، ثم ما لبثوا أن دارت رحى الحرب بين الملك وبين بعض ملوك العجم فوقع الملك (كرسيوس) في الأسر فأُمِرَ بإحراقه وأوقدت النار فصاح كرسيوس: سولون! سولون! فسأل (فيزوس) ملك العجم: ما معنى هذا؟ فقص عليه القصص فرقَّ له قلب (فيزوس) وأنعم عليه فأطلقه.

الجناية على القضاء والقدر

ومنها الاحتجاج بالقضاء والقدر والاعتذار عن كل خسارة تلحق عند التقصير في الأخذ بالأسباب بعذر ملتقط من هذا الباب، فدمار البلاد وضياع العباد قضاء قضى به رب العباد! وتلف النفوس وإزهاق الأرواح راحة من الدنيا وفوز بالفلاح، والظلم والعدوان على الحقوق بترك تولية من هو بالولاية خليق، اجتهاد خاطئ عند أولي التحقيق! وقس على هذا المنوال، فإن تتبع الجزئيات صعب المنال.

الخطــأ في مفهــوم الــورع

ومنها الورع الفاسد بترك ما أمر الله تعالى به من السعي لتمكين سلطان الشرع في الأرض وليكون المهيمن على أمم البشر ولتكون أمة الإسلام صاحبة الأمر والنهي وولية الحل والعقد والإخاذ الذي لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[1] تحت دعوى أن (العالم والداعية لا يسعى إلى حكم أو إمارة) و(أننا لسنا جيل التمكين) وأن علينا أن (نعد أنفسنا للمحنة والموت فحسب) وأن (النصر حظ الأجيال القادمة)، وهذه العبارات والأقاويل وإن كان يراد بها توطين النفوس على تحمل تبعات الطريق ومشاق المحن لكنها استحالت غاية وهدفاً في كثير من

١ في طبقات ابن سعد (١٠٥/٢) بإسناد صحيح إلى مسروق قال: "لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ: فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ"

الأحيان، كالذي اعتقد قرب القيامة فترك العمل أو استعجل الموت! وكان لهذه المقالات في كثير من المواطن آثار مذمومة لا تحمد كالدواء إذا تجاوز متعاطيه قدر الضرورة منه لإهمالٍ في الطبيب أو قصور فهم في المصاب.

احتقار الأنفس والقناعة بالدون

ومنها الاحتقار العملي للنفس بإهمال القدرات والقناعة برداء العجز والتشبث بأذيال الكسل والرضا بالقليل والفتات، فلا المجموع يسعى في تكميل ما نقص ولا الفرد يستشعر ثقل التبعات الملقاة على عاتقه فيعمل على ترقية نفسه؛ لأن في رقيه رقي الجماعة وفي حياته حياتهم، كالجسد يحيا بحياة أعضائه، وفي نجاته وفلاحه نجاتهم وفلاحهم، ولسان حال الجميع "إن الله يحفظنا كما حفظ آباءنا الأولين وينصرنا كما نصرهم"!.
فليت شعري هل فقهوا بأي شيء حفظ آباؤهم الأولون ونصروا حتى يستقيم القياس عند الفطنين الأكياس؟!

ومثل هذا من أسباب سقوط الدول وذهاب الأمم كما وقع في عهد السلطان عبد الحميد آخر سلاطين الدولة العثمانية أن جاء أحد الباشوات الترك إلى بعض العلماء فقال للشيخ: إن الله حفظ دولتنا التركية ستمائة سنة ولم يكن عندنا هذه الآلات الحديثة فأي حاجة لنا بها؟ الله حافظ دولتنا فلا حاجة إلى أمر جديد! ثم قال: إن القوم يقرءون الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي ويقولون ما نريد بعد ذلك"؟! وقد قيل: "من عرف قدره عرف قدر خصمه، ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره!"[٢]

التعـذر بالاسـتضعاف

ومنها - وهو وليد ما قبله وفرخ ما سبقه- ما استقر في كثير من النفوس من أننا ضعفاء لا نملك أمام عدونا حولاً ولا قوةً، وليس لنا إلا الرضا بالأمر الواقع. وأن الشر الذي حل ببلادنا ما له من دون الله من دافع! فترك دفع الصائل، وأفتى به المفتون من كلِّ مغبون ومَفتون، وزعموا أن الجهاد لا يصح إلا بشرط الإمام، كذباً وافتراءً على الملك العلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

التقيد بأوهام الوحي الغربي الشيطاني

ومنها الآثار العملية للوحي الغربي الشيطاني الذي رسَّخ في نفوس أجيال المسلمين الأخيرة والحاضرة أن الغرب مثال الرقي والتقدم والحضارة والتمدن، وهو نبع العلوم وكنز الفهوم ومسرح الفنون والقوة التي لا تقهر، والدولة التي لا تغلب، وأن من عداه هم المتخلفون الرجعيون الهمجيون، الجهال المؤودون في مقابر الجهالة، المتلفعون بأكفان الذلة والمهانة!

واعلم - علَّمني الله وإياك- أن عدونا عدو الله ورسوله ﷺ يمارس على أمة الإسلام اليوم ما يعرف في علم النفس بـ(الاستهواء) ومعناه أن توحي إلى من تريد التسلط عليه بفكرة تجعل إرادته تابعة لإرادتك متى

---

٢ رسالة التربيع والتدوير للجاحظ، عن تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيَّات ١٦٨.

استحالت الفكرة المذكورة عقيدة راسخة فيه. وقد قسموه إلى قسمين: (استهواء ذاتي) وآخر (خارجي)؛ فالأول يستهوي فيه الإنسان نفسه، والثاني: يستهوي فيه غيره من الأمراء والجماعات.

ويقال إن أصل هذا الفن مقتبس من بعض طوائف المتزهدة من كفرة البراهمة الهنود، فإنهم كانوا يبعثون أتباعهم إلى الكهوف ورؤوس الجبال ويأمرونهم بالتجرد من الثياب والاعتزال هناك بعيداً عن أعين الناس وأن يردد الواحد منهم يومياً آلاف المرات: (إن الدنيا حقيرة وعليّ أن أزهد فيها) فلا يلبث حتى تستحيل العبارة المذكورة عقيدة راسخة تسيطر على الإرادة وتقيد المريد. ثم إن فكرة الاستهواء هذه أصبحت عند الغرب - بعد أبحاث أجريت- وسيلة للسِّلم، كما أضحت أداة للحرب! فهو طب استهوائي يعتمد على (المعالجة بالاستهواء) كما أن الحرب بالاستهواء، ولم يكن الغرب أسبق إلى هذا العلم، وإنما مَدُّ بساط الجهالة على ربوع المسلمين وغفلتهم هو الذي حجب بينهم وبينه، وإلا ففي المنقول عند علمائنا الأولين وقادتنا وأطبائنا ما يدل على أنهم عرفوه ومارسوه واستعملوه في شفاء الأمراض الأدبية، والتخلص من رقّ العادات الدنية، وإصلاح الأخلاق الردية، كما استعملوه في شفاء الأمراض الجسدية.

وقد رأيت في بعض كتب التراجم[٢] أن بعض أطباء المسلمين عالج مريضاً كان يتوهم وجود جرَّة من الفخار فوق رأسه بأن أحضره قرب جدار وأمر بجرَّة رميت من أعلاه فتكسرت عند قدمي المريض وذهب عنه الذي يجد!

واستعملوه في الحرب أيضاً ففي تاريخ دمشق لابن عساكر - رحمه الله- أن خالد ابن الوليد ﷺ لما لقي ملوك الروم في اليرموك وسألوه عما جاء به وبالمسلمين قال لهم: إنا معشر العرب كنا نتحدث أنه لا شيء أحلى من دماء الروم فجئنا نقتلكم ونشرب من دمائكم! فقالوا: هذا الذي كنا نسمع أن العرب يأكلون لحوم البشر ويشربون دماءهم!

فالمقصود تحذير المسلمين من خطر هذا الداء وآثاره وحملهم على مقابلته بمثله فإنه من الإعداد الذي أمر الله به، وعدونا - رد الله كيده في نحره- يجيد استخدام هذا وقد سخَّر له من الآلات والوسائل ما توصل إليه من مرئيِّ الإعلام ومقروءه ومسموعه واستعان على ذلك بعلماء السوء وأحبار الدراهم والدنانير، وبجهلة المسلمين وغفلة الكثيرين منهم، فتأمل كيف يرددون على مسامعهم صباح مساء منذ عشرات السنين عبارات الاستهواء كـ(دول العالم الثالث) و(الدول النامية) أو (الدول الفقيرة) و(المتخلفة) و...و...إلخ، وفي المقابل (الدول العظمى) و(الدول الكبرى) و(الصناعية) و(المتقدمة) ونحو ذلك، ويمسخون قضايا المسلمين لفصلها عن الدين الذي هو روحها وجوهرها وماء حياتها كتسمية احتلال فلسطين وبيت المقدس بـ(قضية الشرق الأوسط) وتسمية العدوان الصليبي على أفغانستان والعراق وغيرهما من بلاد المسلمين (تحريراً وإنقاذاً للبلاد وتخليصاً وسلاماً)!.

دع عنك هذا وانظر إلى الآثار العملية لهذا الداء على فئات العاملين لهذا الدين:-

---

٢ لعله في أعيان العصر للصلاح الصفدي المتوفى في أوائل النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

- في ترديد كثير من المشايخ والعلماء والدعاة بل ومن المجاهدين ومن الأدباء والشعراء والكتاب لمثل هذه العبارات وهم لا يعلمون مصادرها ومواردها، ولا يستشعرون آثارها.

- وفي استكانة الكثيرين منهم وخضوعهم للأمر الواقع - زعموا- تحت تأثير الاستهواء المذكور وبالحجة نفسها التي نحن بصدد إبطالها؛ حتى تركوا الأمة نهباً لأعدائها يسومونها الخسف والعذاب الهون، ويقتادونها كالأنعام يجز صوفها ويشرب لبنها.

- وفي ترك تحريض الأمة على جهاد أعدائها ودفع الصائل عليها لأنه لا طاقة لنا بهم ولأنهم ملكوا من الأسباب ما لا يدرك معه شأوهم! ثم لا هم يدعون الأمة إلى استدراك ما فات بالإعداد والتدرب والممارسة والمران، ولا إلى اتخاذ الأسباب المعينة على قتالهم وحربهم من معدات الحرب وأدوات القتال وأنواع العلوم والفنون التي لا تقوم الحرب إلا بها؛ مع أن دين الإسلام آمر بذلك داعٍ إليه محرض عليه في مثل قوله ﷺ: "ألا إن القوة الرمي"، وفي مثل قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} الأنفال ٦٠، وفي مثل ما ذكره الله تعالى في سورة سبأ عن داود ﷺ وما آتاه من فضله وأنه ألان له الحديد {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} سبأ ١١- ، هي الدروع السابغة الواقية ثم قال تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً} سبأ ١٣، فبين سبحانه أن شكره ﷻ يكون بالعمل على تسخير ما أودعه الله تعالى في الكون من الأسرار والنواميس والآلات لخدمة الدين وإقامة الجهاد في سبيل الله، أما الإعراض عن ذلك وإنامة العقول وإماتة الأفكار والرضا بالتبعية للكفار وأنه ليس بالإمكان أبدع مما كان، فكفران بالنعمة لا شكران لها، والله المستعان.

- وفي ترك المسلمين - عامةً- والمجاهدين - خاصةً- الحقَّ الذي جعل الله تعالى لهم باختيارهم خير أمة أخرجت للناس وجعلهم خلفاءه في الأرض؛ خلق لهم ما في الأرض جميعاً منه، ووعدهم إن هم امتثلوا أمره أن يمكّن لهم في الأرض بقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ} النور ٥٥، فكان مما يدخل في جملة العمل الصالح اتخاذ الأسباب المعنوية والمادية التي يحصل بها الغلبة والنصر على الأعداء، ومن ذلك أنواع الصناعات الحربية والعلوم القتالية وأن يستحدثوا منها ما يسبقون به الأعداء لا أن يكون سلاحهم منهم وعلومهم مستقاةً من علومهم فحسب؛ فإن في كتاب ربنا وسيرة نبينا محمد ﷺ وفي تاريخنا المجيد من أصول هذه العلوم وقواعد هذه الفنون ما لا يدرك الكفار شأوه ولا يلحقون ركبه، ناهيك عن كون المسلمين أرقى عقولاً وأصفى فكراً وأشحذ همةً وأقوى إرادة؛ متى كشفوا عن أعينهم غشاوة التقليد، وتحرروا من رق التبعية، وحطموا أغلال الخمول والكسل.

- إن من الأوبئة المشينة والأدواء الدفينة أن يهيئ العدو لحربنا كبار رجاله وأذكياء حكمائه وعباقرة ساسته ودهاة مفكريه ثم لا نواجه ذلك بمثله، ولا نعمل على تربية العقول، ولا نقابل القلم بالقلم والعقل بالعقل والدهاء بالدهاء والحكمة بالحكمة والخدعة بالخدعة! وهل كان ضياع الأندلس واقتلاع جذور الإسلام منها إلا لما أوكلت أمور المسلمين فيها إلى حديثي السن قليلي الخبرة والتجربة؛ الفقراء إلى الحكمة والتدبير، من أمثال ابن زيدون الشاعر - صاحب ولّادة- في حين كان يقود عدونا في حربه على الإسلام والمسلمين الدهاةُ من رجال الكنيسة وأمراء القصور! وهكذا سقطت الدولة العثمانية وهكذا يقع في بلاد المسلمين اليوم!

- إن من الأمراض الفتاكة القاتلة أن تمر علينا الأعوام تلو الأعوام ونحن نقارع العدو بسلاح واحد لا نسعى إلى تغييره، وخطة واحدة عقيمة لا نسعى إلى تبديلها، وعقل واحد متحجر لا نسعى إلى ترقيته، وتلحقنا الخسارة تلو الخسارة، ثم لا نجد إلا الحوقلة والاسترجاع وتعليق الأمر على التوكل والقضاء:

وإذا أراد اللّـــهُ ذُلَّ قبيـــلةٍ رماها بتشتيت الهوى والتواكل

- ومن الأمراض المستعصية المزمنة ترك السعي في إيجاد وتوفير الضروري من أصحاب الخبرات وذوي الكفاءات العلمية والعملية التي لابد منها ولا غنى للمجاهدين - بل للأمة- عنها، أو أن نترك السعي في تكميل الناقص منها! مع أن هذا من أعمدة الحكمة العملية وأصول السياسة الشرعية، وعلماؤنا قد وضعوا لذلك جملةً من القواعد:

- منها: إن كان لا يوجد الأصلح للولاية اختير الأمثل فالأمثل كل منصب بحسبه.

- ومنها: إذا لم تتم مصلحة الولاية برجل واحد جمع بين عدد تتحقق بهم المصلحة؛ إذ لابد من ترجيح الأصلح أو تعدد المولّى إذا لم تقع الكفاية بواحد تام، وكذلك في مشاورة أهل العلم والدين وفي إمارة الحرب.

- ومنها: يجوز تولية غير الأهل للضرورة إذا كان أصلح الموجود، ويجب السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل في الناس ما لابد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ونحوهما، كما يجب على المعسر السعي للوفاء، وكما يجب الإعداد عند العجز عن القتال. وانظر إن شئت رسالة السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الخطأ في مفهوم الجهاد في سبيل الله

ومنها: ظن الكثيرين أن الجهاد في سبيل الله هو أن نُقتَل لا أن نَقتُل، وأن الله تعالى إنما يرضى عنا بذلك حتى إنك لترى من لا يعد الجهاد في سبيل الله إلا القتل، وكأنه ليس منه الإعداد والرباط وحراسة الثغور، والسقاية، وحفظ المتاع، ومداواة الجرحى وغير ذلك مما لا قيام للجهاد إلا به، وترى من التهاون في أخذ أسباب الحيطة والحذر والتفريط في النفوس والجرأة على اقتحام مواطن الأخطار ما لا ينقضي معه العجب؛ مع أن المقرر في أصول شرعنا والمنقول عن أئمتنا أن حفظ النفوس من المصالح الكلية التي اتفقت عليها الأديان السماوية؛ بل هو أحد قواعد الحرب المتفق عليها عند أهل هذا الشأن، وهو "الاقتصاد في القوة"، وأثمن ما يمتلكه المسلمون بعد الإيمان بالله تعالى والتمسك بشرعه هم الرجال، ثم ألا تراهم يقولون: "رجل في الحرب بألف رجل"، ويقولون: "الرأي قبل شجاعة الشجعان، هو أوّل وهي المحل الثاني"!.

وترى في المنقول عن أمراء وقادة الفاتحين من المسلمين من المحافظة على المقاتلة وتعظيم أمر الدماء ما يضيق عن الحصر. ولا تعارض بين هذا - بحمد الله تعالى- وبين التغرير بالنفس في سبيل الله ﷻ وطلب الشهادة في مظانّها، بل الأول سبب مقدور واجب تحصيله والشهادة غاية وجائزة واصطفاء من الله تعالى ينالها العبد متى حان الأجل، ولا يعلم متى تنقضي الأعمار إلا الله ﷻ، ثم إن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: {وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} النساء ٧٤، فتأمل كيف قابل بين القتل والغلبة

فأشعر ذلك بأن القتل وإن كان شهادة يحبها الله إلا أنها في الظاهر هزيمة أمام الكفار لأن الذي يقابل الغلبة الهزيمة، وإنما ذكر القتل لشرفه، ولأجل هذا قال بعض سلفنا: "لأن أقتل ورياح المسلمين مقبلة وعدوُّ الدين مخذول أحب إليَّ من أن أقتل ورياح المسلمين مدبرة مولية وعدوُّ الدين ظاهر ولأهل الإسلام قاهر" أو كلاماً نحو هذا، وهذا لعمر الله من الفقه في الدين؛ فكيف إذا كان العدو نازلاً في عقر دار المسلمين كما هو حالنا اليوم، والله تعالى يقول: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ... الآية} التوبة ١١١ فتأمل كيف قدم قتلهم للعدو على قتل العدو لهم لأن الغاية من الجهاد نصر الإسلام، وإيجاد الإيمان وأهله، وهزيمة الشرك والقضاء على الكفر وأهله، ولا يخفاك أن للتقديم والتأخير في الكتاب والسنة أثراً ينبني عليه كثير من الأحكام كما استدلوا بذكر أعضاء الوضوء مرتبة من الآية على مراعاة الترتيب فيه، وكما قال النبي [٤]ﷺ: "أبدأ بما بدأ الله" في الحج يشير إلى قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ} البقرة ١٥٨- وكما استدلوا بقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة ٥- على تقديم الوسيلة على الغاية، وبقول الله تعالى: {وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} آل عمران ١٥٧، على أن القتل في سبيل الله أشرف من الموت في سبيل الله ونحو ذلك، وهكذا هنا قدم قتل الكفار في الجهاد على طلب الشهادة في سبيله تنبيهاً على المقصد الأسنى من الجهاد في سبيل الله وهو إظهار الدين والإيمان.

خذوا ما آتيناكم بقوة

ومنها: الاتكال على الغير في تحصيل الواجب والقيام به والتعويلُ في طلب سعادة الأمة ورقي مستقبلها على أبناء جنسه فلا ينحو باللائمة إلا عليهم ولا يفوّق سهام التقريع إلا إليهم، وكأنه عريٌّ عن التهمة بريٌّ من التقصير، وفي المنقول عن حكمة اليونان: (من لام غيره على ما يطرأ فهو جاهل، ومن لام نفسه دون غيره فقد شرع في الحكمة).

وحال الأمة يستوجب البكاء بالدمع فعلى كلٍّ أن يعمل على تخليصها من براثن الأعداء، وإنقاذها من هوة الشقاء، وإخراجها من ذل العبودية لغير الله والتبعية لأعداء الدين، فليكن هذا مطمح الأبصار وغاية الأنظار ومرمى الآمال ومقصد الحياة.

كلٌّ له غرضٌ يسعى ليدركَهُ والحرُّ يجعل إدراكَ العُلا غرضاً

مـــا لـــي ولهـــذا؟!

ومنها: دعوت فلم يُسْمع لي ونصحت فلم يقبل مني فيرجع القهقرى ويترك الورى وكأنه لا يسمع ولا يرى، وكم فات من الخير لأجل ذلك وكم حصدت أمتنا بسببه من الشرور وهو دليل إهمال المصالح العامة وتقديم مصلحة

---

٤ فيما رواه الترمذي عن جابر ﷺ (٢١٦/٣- ح٨٦٢) وقال: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا (وقال ابن خزيمة في الصحيح: والبدء بالصفا قبل المروة إذ الله ﷻ بدأ بذكر الصفا قبل المروة، وأمر المبيِّن عن الله ﷻ بالبدء بما بدأ الله به في الذكر)، وقال ابن عباس لمن سأله: أبدأ بالصفا قبل المروة أو بالمروة قبل الصفا..؟ فقال: خذ ذلك من كتاب الله ﷻ فإنه أجدر أن يحفظ قال الله تعالى: "إن الصفا والمروة من شعائر الله" فالصفا قبل المروة (السنن الكبرى للبيهقي (٤٠٥/٨٥/١).

النفس عليها، بل هو تقطيع لأوصال الأمة وتفكيك للروابط التي بينها، ويحتجون لذلك بمثل ما روي عن ابن مسعود ﷺ في تفسير قوله تعالى: {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} المائدة ١٠٥- أنه قال: "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قُبِلَ منكم، فإن رُدَّ عليكم فعليكم أنفسكم"، وحاصله أن القول إن لم ينفع يترك، والحق أن الاتكال على هذا ومثله من أقوال الأئمة المجتهدين - وإن كان يمكن حملها على أحسن الوجوه- أودى بالمسلمين وأقعدهم عن القيام بما يجب: من الجهاد بالقلم واللسان والحجة والبيان، والتحيل في إيصال الحق إلى الناس كافة وبكل وسيلة أمكنت، ألا ترى أن النبي ﷺ مكث يدعو قريشاً إلى الإسلام نحو ثلاثة عشر عاماً، كلما صدوا عنه من وجه أتاهم من غيره حرصاً على هدايتهم إلى الدين الحق، ثم إن الأمة كنفس واحدة وإصلاحُ الفرد منها إصلاح للجميع كما أن عطب فرد منها عطب لهم، والصواب في تفسير الآية ما روي عن ابن المبارك - رحمه الله- أنه قال: "عليكم أنفسكم" هذه الآية أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى قال: (عليكم أنفسكم) يعني أهل دينكم بأن يعظ بعضكم بعضاً ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات، أي احفظوا أنفسكم وذلك بالأمر والنهي.

ومن القصص التي تناسب هذا المقام ما وقع لشيخ الإسلام الثاني والعشرين في الدولة العثمانية الإمام العلامة محمد بن سعد الدين بن حسن جان التبريزي المتوفى أوائل القرن الحادي عشر الهجري حيث بعث السلطان أحمد الأول - باني الجامع المنسوب إليه قرب آيا صوفيا- كبير حجابه بخط سلطاني يسأله فيه: ما هو الخلل الطارئ على كيان الدولة وشئون الرعية مع النصر الموعود لهذه الأمة؟

فأخذ الشيخ الخط السلطاني من كبير الحجاب وكتب تحته بعد مدِّ باء الجواب على الوجه المعتاد في الافتاءات: ما لي ولهذا الأمر؟ كتبه محمد بن سعد الدين، وأعاد الورق إلى السدَّة الملكية فاحتد السلطان غضباً واغتاظ جد الغيظ حيث اعتبر أن شيخ الإسلام لم يلتفت إلى سؤاله فطلبه للمثول بين يديه في الحال، فحضر وأخذ السلطان يعاتبه مُرَّ العتاب - على خلاف ما هو المعتاد من التسامح مع مشايخ الإسلام- ، وقال: كيف تقول أنا مالي في أمر يهمني جداً وتهمل الجواب؟! فقال شيخ الإسلام: "كلا بل جاوبت على سؤال مولانا أدق الجواب، فمتى كانت عناية رجال الدولة وأفراد الأمة بما يخصهم أنفسهم فقط دون التفات إلى ما يعم ضرره الجميع أو يشمل نفعه قائلين: مالي ولهذا الأمر؟ فقد طَمَّت البليةُ وعَمَّت المصيبةُ لانصرافهم إلى منافعهم الشخصية دون النفع العام"، ولما شرح شيخ الإسلام كلامه هذا الشرح أعجب به السلطان جداً وخجل من عتابه وسعى في إرضائه سعياً بالغاً وأنعم عليه ثلاث خِلَعٍ فاخرة كما أنبأنا بذلك التاريخ (مقالات الكوثري ٣٨٤).

علة العلل في طروء الخلل

واعلم أن العلل المذكورة ومثيلات لها راجعة إلى علة هي منشأ ذلك كله؛ وهي فهم المسلم للغاية التي لأجلها خلق ومعرفته برسالته ودوره في الحياة، ألا ترى صحابة نبينا ﷺ والصدر الأول والطليعة المباركة من الأمة لما فهموا مغزى الدين وأهدافه على سبيل الإجمال كيف أطار نومهم، وأيقظ أجفانهم، وأنار عقولهم، وفتح

بصائرهم، حتى هجروا الأوطان وفارقوا الأهل والخلان، وطاروا به إلى الشرق والغرب سراجاً هادياً وقمراً منيراً، فليت شعري ما الذي أدركوه وفاتنا؟! وما الذي فهموه وغاب عنا وعن أذهاننا؟ وكيف غطت عليه عوائد الأيام؟ وكيف ضلت عن إدراك كنهه الأفهام؟!

تقعيد وتأصيل: لا معطل في الكون والحياة

على قدر وعي المسلم لدوره في الحياة وإيمانه بالغاية التي لأجلها خلق تكون انطلاقته واستيعاب هذا على الوجه الصحيح هو الطريق الأمثل لبعث الهمم واستنهاض العزائم وشموخ الإرادة.

ولا يختص بذلك المسلمون وحدهم ولا أمة المسلمين وحدها فحسب بل تشترك فيه جميع الأمم عربيها وعجميها، أبيضها وأسودها، قديمها وحديثها، وما من أمة من الأمم إلا وهي تسعى إلى غرس بذوره وتعميق جذوره وتعهد ثماره بالحفظ والرعاية ليكون الدافع الأول والمحرك المستمر الذي يضمن لهم الغلبة في صراع البقاء.

وأبعد من هذا كله أنه موجود في جميع المخلوقات والأمم التي أخبر الله تعالى عنها بقوله سبحانه: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} الأنعام ٣٨- ، وقوله سبحانه: {إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم} يعني في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها، قال قتادة: "الطير أمة والإنس أمة والجن أمة"، وفي مرفوعات الأحاديث ما يؤيد ذلك، كقوله ﷺ: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها"[٥]، وقوله ﷺ فيما رواه أبو يعلى عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "خلق الله ﷻ ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظم إذا قطع سلكه"[٦] وأكد هذا في الآية بقوله سبحانه: {ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}. قيل: حشرها الموت، وقيل - وهو الصواب- : يوم بعثها يوم القيامة لقوله سبحانه: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} التكوير ٥- . فأقام الله تعالى هذه الأمم وطوائف المخلوقات كلاً بنظامه يجري على ناموس لا يختل، وأعطى كلاً منها خلقه وهدايته لمعاشه، ونظم أحواله وأحكم ألفته، وهو الذي رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، وجعل لها قوانين وآداباً وأحوالاً على قدر طاقاتها، وسياسات تخدم الغاية التي لأجلها خلقت.

والله جل وعلا قد أرشدنا إلى الاعتبار بكل ذلك فأنزل علينا في الكتاب سوراً بأسماء مخلوقاته التي أودعها في صفحة الكون المعمور كالنمل والنحل والعنكبوت، فهذه وغيرها من سباع البهائم وجوارح الطير وحتى الحيتان في الماء ساعيات إلى الحكمة من وجودهن وعلى قدر رسالتهن في الحياة ألهمهن الله تعالى ما يحتجن

---

٥ الحديث أخرجه الأربعة في السنن كما في (الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٢/٢٥٤)، وهو عند الترمذي ٧٨/٤ وقال: وفي الباب عن ابن عمر وجابر وأبي رافع وأبي أيوب، وقال: حديث حسن صحيح، وعند أبي داود في المسند ١٠٨/٣، وعند النسائي ١٨٥/٧ حديث ٤٢٨٠، وعند ابن ماجة ١٠٦٩/٢، ح٣٢٠٥، وعند الدارمي ١٢٥/٣، وذكره الهيثمي في المجمع عن ابن عباس مرفوعاً من رواية أبي يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، قال: وإسناده حسن)، ومن رواية الطبراني في الأوسط عن عائشة قال: وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ثقة لكنه مدلس. (مجمع الزوائد ٤٢/٤).

٦ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف.

إليه في أدائها والقيام بها، ألا ترى ما ذكره العلماء عن النحل كيف يسوس خليته، والنمل كيف يحفظ مدنه وما تحويه كلٌّ منهما من بديع التراتيب وعجائب النظام، وما فيهما من الوزراء والأجناد والقواد والعساكر والخدم والحرس، وما تشنه من الغارات والحروب، وما يقع فيها من القتلى والأسرى والجرحى؟!

هكذا الكون كله قائم على هذا الأصل الأصيل وركن السنة الربانية الركين!

- الحبة التي تغرس ويتعهدها الزارع بالسقي والغذاء وما تحتاج إليه من الضوء والهواء تنمو وتخضر فتبهج الزراع ثم تؤتي أكلها، فإذا انتهى دورها، وتعطلت منفعتها صارت حطاماً وعادت كأن لم تكن! وكذلك حالها إن أهملها الزارع ولم يتعهدها بمقومات الحياة عُجِّل لها بالموت والنهاية.

- في الأحياء من البهائم والطير ما لا ينقضي معه العجب، مما ذكره علماؤنا الأولون أو كشف عنه الباحثون المتأخرون كالذي يقع في مملكة النحل مثلاً فإنه متى حان موسم اللقاح تنافست الذكور أيهم ينالها حتى إذا فاز الحظي بها اجتمعت عليه عاملات الخلية فقتلنه وتركنه صريعاً!

- وكالذي قرأته من نحو عشرين عاماً أو يزيد في كتاب (غريزة أم تقدير إلهي) عن النمل وأن من بينه جماعات إذا بلغت من عمرها سناً معيناً واقترب موعد الشتاء عمدت إلى الطعام فأكلت منه حتى تمتلئ ولها أجسام قابلة للتمدد ثم تأتي أماكن معدة لها في ممالكها وتتعلق في سقوفها على هيئة معينة فتموت وتيبس ويبقى ما في أجوافها من الطعام على حاله، فإذا كان الشتاء واحتاجت جماعات النمل إلى الطعام شققن عن بطونهن واستخرجن ما فيه فتغذين به!

- والإنسان يولد ثم يشب ثم يبلغ أشده فيتعلم ويُعلِّم، وينكح ويطلب الذرية، ويسعى ويكدح مادامت فيه القوة والقدرة؛ حتى إذا ما يبس عوده بعد اخضراره، وصار روضه ذاوياً من بعد ما كان مجّاج الثرى؛ فتعطل حينئذ نفعه صار كأمس الذاهب، وخلا عن هاتيك المواهب، وعاد حديثاً من أحاديث الزمان، وانتصب خبراً لكان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- وعليك أن تضع نصب عينيك ما سأذكره لك خلاصة لهذا وأمثاله وأن لا يفارقك ذلك ما حييت، فإنك إن فعلت رجوت من الله تعالى أن يفتح لك من الفهم ما أُغْلِق وأن يلهمك قذف داء الباطل بدواء الحق فتصيب البُرء بإذن الله.

إنه لا مكان في هذه الحياة الدنيا للبطّالين الخاملين ولا العجزة الكسالى، ولا لمن يؤثر الراحة والقعود على العمل والعطاء، لا من الأفراد ولا من الأمم، بل لا يفوز أحد من هذه الدنيا بطائل إلا بعد النصب والتعب؛ وإلا فإن الله تعالى قادر على أن يخلقنا نائمين على فراش الراحة نأكل كما يأكل الدود، تلك سنة الله تعالى وحكمته التي اقتضت أن تكون دارنا دار الامتحان ومحل الابتلاء، بل كل شيء تعطل في الكون عن المنفعة التي خلق لأجلها آل إلى زوال وفناء.

سنة الله في الجماعات والدول

لقوله تعالى: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} محمد ٣٨- ، ولقوله سبحانه وتعالى: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ} الرعد ١٧ - ، وما قصه الله تبارك وتعالى من أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} ... إلى قوله تعالى {وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} الأعراف ٩٤- ١٠٢.

هكذا سنة الله في الأمم والجماعات والدول تبقى فتية حية قائمة على سوقها ما دامت تنفع الخلق وترعى مصالحهم وتقيم العدل وتمنع الظلم، حتى إذا ما كسد سوقها وبارت بضاعتها وسخرت الدولة والسلطان مطية للأهواء والشهوات تعطلت عن مقومات البقاء وصار عدمها أنفع للناس وأرحم بهم من وجودها، وعلى هذا المعنى يفهم ما قاله الشيخ أبو العباس النميريُّ بن تيمية رحمه الله في إقامة الدولة العادلة مع الكفر وزوال المسلمة مع الظلم، وهو المفهوم مما ورد في الأحاديث من أن الروم لا تزال منهم بقية مع ما ذكر عنهم من أنهم أسرع الناس إفاقة بعد مصيبة وكرَّة بعد فرَّة وأحسنهم لضعيف ويتيم ومسكين ، وهو في صحيح مسلم رحمه الله.

قال العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله- : فحينما تتعدى المدنية حدودها الطبيعية وتخرج عن مدارها وتنسى القيم الخلقية كلياً أو تكفر بها صراحة وعلناً، ويتغافل الإنسان عن كل غاية نبيلة ومقصد شريف، وعن كل واقع وحقيقة غير الحقائق المادية وتحقيق مآربه الجسدية وإرواء ظمأه الحيواني، وحينما يحل محل القلب الإنساني قلب الذئب والنمر والفهد، وتتكون في جسده معدة خيالية أو صناعية ونفس أمَّارة بالسوء لا يقر لها قرار ولا يضبطها وازع أو رادع، وحينما تصيب الإنسانية نوبة شديدة من الجنون يبعث الله لها جماعة من الجرَّاحين أو عصابة السفَّاحين وتأتي لأورامها المنتفخة سكاكين من ظهر الغيب تقضي عليها وتقطع دابرها وتستأصل شأفتها[٧].

لا مكان في هذه الحياة الدنيا للبطَّالين الخاملين ولا العجزة الكسالى، ولا لمن يؤثر الراحة والقعود على العمل والعطاء، لا من الأفراد ولا من الأمم، بل لا يفوز أحد من هذه الدنيا بطائل إلا بعد النصب والتعب؛ وإلا فإن الله تعالى قادر على أن يخلقنا نائمين على فراش الراحة نأكل كما يأكل الدود، تلك سنة الله تعالى وحكمته

٧ السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ص٦٢.

وفي الكتاب العزيز قول الله تعالى: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} محمد ٣٨- ، روى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} قالوا: يا رسول الله! من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: فضرب يده على كتف سلمان الفارسي ﷺ ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس"، والحديث تفرد به مسلم بن خالد ورواه عنه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمهم الله.

- وقال تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} الأنعام ١٣٣- ، وقال تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً} النساء ١٣٣- ، وقال تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} فاطر ١٦.

وهكذا وقع فإن الأمم إذا حل بها الفساد وأقفرت من العلم والعمل والحكمة ونبذت الغاية التي لأجلها وجدت، وأحاط بها الكلل والملل ورضيت بالراحة والدعة والبطر وفسدت بفساد أكابرها من الأمراء والعلماء أسلمت القياد واستبدلها الله بغيرها ممن هم أقدر على مراعاة سنن الحياة وأصبر على الجهاد وأولى بالقياد.

وهذا الذي ذكرناه هنا هو أم العوامل في بناء الأمم والدول والجماعات وقيامها وفي دمارها وانهيارها، وبحسب قوة هذا العامل أو ضعفه، وبحسب تمكنه من أسس الدول وأركانها تطول مدة بقائها أو تقصر، ومن شاء فليطالع تواريخ الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم من الأمم؛ بل تواريخ دول الإسلام كالدولة الأموية والعباسية والأيوبية والغزنوية والخوارزمية والغورية والزنكية والسلجوقية والخلجية والبرجية والبحرية ودول الأندلس وأفريقية، ودول ما وراء النهر وغيرها يظهر له صدق ما نقول بالبرهان المعقول والمنقول وبالله التوفيق.

الاقتصاد الأفغاني بعد أربع سنوات من الاحتلال الصليبي

بقلم /حسام عبد الرؤوف

إن الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره، ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد؛

فلا يستطيع أحد إنكار أهمية الاقتصاد في حياة الشعوب ورقيها واستقرار الأمن والسلام في ربوعها للارتباط الوثيق بين التقدم الاقتصادي والتقدم في شتى المجالات، ولم تتقدم الدول التي تسمى بدول العالم الأول وتتخذ مكانتها في صدارة دول العالم إلا بقوتها الاقتصادية التي مكنتها من تطوير أنظمتها السياسية والعسكرية وعلى كافة المستويات والأصعدة.

وللدلالة على ما نقول نذكر أن اليابان بعد انكسارها في الحرب العالمية الثانية استطاعت بتقدمها الاقتصادي والتكنولوجي وبسواعد أبنائها أن تتبوأ مكانتها كثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم رغم افتقادها للمصادر الطبيعية وحاجتها لاستيرادها من السوق العالمي، وقلة عدد سكانها مقارنة مع العديد من دول العالم المتقدم!

كان لابد من هذه المقدمة حتى نمهد لاستعراض الآثار السلبية للحملة الصليبية الحالية على أفغانستان من الناحية الاقتصادية والتي مرَّ عليها أكثر من أربع سنوات وللمقارنة بين ما وُعِدَ به الأفغان من معونات خارجية ببلايين الدولارات وتحقيق تقدم كبير في المجال الاقتصادي والظروف المعيشية في مقابل الاستسلام لقوات الاحتلال والرضا بوجود القوات الصليبية على أرض أفغانستان المسلمة، وبين الواقع المأساوي لغالبية الشعب الأفغاني الذي لا يجد إلا الخبز فقط ولا يجد شيئاً آخر يأكله معه، وذلك في مسح شامل للرجال والنساء في العديد من المدن والقرى وحتى المناطق الجبلية النائية.

وبداية نذكر أن أفغانستان رغم ما تمتلكه من ثروات طبيعية وإمكانات بشرية تعد من أفقر دول العالم على الإطلاق، وأن مستوى المعيشة بالنسبة لغالبية الشعب لم يتغير عبر القرون المتطاولة بل ازداد سوءاً نتيجة الحروب التي شنت عليها من قِبَل ما يسمى بالقوي الكبرى والإمبراطوريات العظمى خلال القرن الماضي وإلى الآن، واتباع الحكومات المتتالية لسياسة الإهمال والتجويع على مدار تاريخها الحديث، والمضحك أن الإعلام الغربي يحمِّل حركة طالبان المسؤولية كاملة عن هذه الوضع المأساوي الذي يحياه الشعب الأفغاني، رغم أن الحركة لم تحكم أفغانستان إلا ست سنوات - كانت منهمكة خلالها في القتال ضد قوات ما يسمى بالتحالف الشمالي الآن، وتعرضت للمقاطعة الاقتصادية والسياسية والعسكرية على المستوى الدولي خلال تلك الفترة!.

يقول التقرير المالي لعام ٢٠٠٤ المقدم للإدارة الأمريكية: حكومة طالبان عاشت سنوات من الفساد والاستبداد وكانت السبب في انهيار البلد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً!! ولم يذكر التقرير أن الغزو السوفيتي لها قد

أدى إلى تدمير ١٢٠٠٠ قرية بالكامل، ونقص الإنتاج الزراعي بنسبة ٦٠٪، ودمر ٥٠٪ من المصانع التي كان يشتغل فيها مائة ألف عامل قبل عشرين سنة[٨] فإذا أضيف إلى هذا التدمير الذي شهدته أفغانستان نتيجة الحروب التي تلت الانسحاب السوفيتي بين المجاهدين والحكومة الأفغانية الشيوعية، ثم بين الأحزاب الجهادية، ثم بين الطالبان والتحالف الشمالي، ثم الاحتلال الصليبي الحالي لأفغانستان الذي استخدم كافة أسلحة الدمار الشامل؛ كان طبيعياً أن تعاني أفغانستان من ازدياد نسبة الفقر، وأن يبقى حوالي ٥٠٪ من السكان بدون مأوى، وأن تدمر البنية التحتية الفقيرة أصلاً.

الهدف الحقيقي لاحتلال أفغانستان

قد لا يتعب المرء كثيراً في استكناه السبب الحقيقي وراء بقاء القوات الأمريكية خلال السنوات الماضية في أفغانستان رغم ما تتكبده من خسائر بشرية ونفقات مادية ومساعدات للحكومة الأفغانية تقدر بحوالي ١.٢ بليون دولار أسبوعياً رغم الظاهر الذي يوحي بتحقيق الهدف الذي ادعت أمريكا أنها قادت العالم لتحقيقه، وهو القضاء على تنظيم القاعدة في أفغانستان وإزاحة نظام الطالبان وإقامة نظام ديمقراطي مسالم بدلاً منه!! وذلك حين يعلم أن الغاز الطبيعي هو أهم الصادرات الأفغانية منذ زمن طويل حيث يستخرج بكميات كبيرة من مزار شريف وشبرغان في شمال أفغانستان، وأنه تم اكتشاف حقول بترول كثيرة ولكنه لم يتم استخراج إلا كميات قليلة منه من الشمال الأفغاني، بالإضافة إلى اكتشاف منجم للذهب في ولاية هرات، ووجود اليورانيوم في ولاية لوجر كما أثبتت صور الأقمار الصناعية وجوده على بعد ١٢٥كم شرق مدينة هرات الأفغانية[٩]، فإذا أضيف إلى ذلك وجود الأحجار الكريمة مثل اللازورد والزمرد، وثروة من المصادر الطبيعية الهامة تضم الفحم والحديد الذي تصل نسبة نقاوته في قندهار - مثلاً- ٩٧٪ وهي نسبة ليست موجودة في أي مكان آخر في العالم- ، والنحاس والباريت، والطلق والأملاح المعدنية[١٠]، ولا يخفى سكوت القوات الصليبية متعددة الجنسيات على تحويل أفغانستان إلى مزرعة للخشخاش وإنتاج الأفيون، لتشتريه القوات الأمريكية من المزارعين بثمن بخس وتبيعه في الأسواق العالمية ولشركات الأدوية الأمريكية بالبلايين.

إذا علمنا كل ذلك فسيزول العجب وندرك السر في استماتة الإدارة الأمريكية في بقاء قواتها أو على الأقل سيطرتها على الشؤون الداخلية لأفغانستان.

ونذكر أن أفغانستان كانت قبل الاحتلال الصليبي- ولا زالت إلى الآن- في ذيل قائمة دول العالم للتنمية البشرية حيث احتلت المرتبة ١٧٣ من بين ١٧٨ دولة[١١]، كما أنها البلد الوحيد الذي ذاق مرارة القتل والتدمير من كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

---

٨ طبقاً لتصريح بشير مشعل نائب وزير التعدين والأشغال العامة في شهر أكتوبر عام ٢٠٠٤

٩ تصريح المهندس مير محمد صديق وزير الصناعة والتعدين الأفغانية بتاريخ ٢٠٠٥\٧\١٣.

١٠ دائرة المعارف البريطانية ٢٠٠٣.

١١ تقرير الأمم المتحدة الصادر في فبراير ٢٠٠٥.

الشـيطان يَعِـدُ:

وفي الوقت الذي وعد فيه المجتمع الدولي بتقديم ٢١ بليون (ألف مليون) دولار لإغاثة وإعادة بناء الدولة في مؤتمر طوكيو للمانحين فإن أفغانستان لم تتلق فعلياً حتى شهر مارس ٢٠٠٥ إلا ٣.٤ بليوناً منها تسعمائة مليون فقط تم توجيهها للمشروعات الرئيسة في الدولة؛ بينما تدّعي الإدارة الأمريكية أنها قدمت لأفغانستان مساعدات بمبلغ ٤.٢ بليون دولار خلال الفترة من أكتوبر ٢٠٠١ - يونيو ٢٠٠٤.

فإذا ألقينا نظرة على المساعدات التي قدمت لأفغانستان من قبل الدول المانحة فسنجد أنها لا تخرج عن إحدى الاحتمالات التالية:-

إما محاولة التظاهر بالإنسانية والتكفير عن الذنب كما فعلت روسيا التي شطبت ديونها "المستحقة!" على أفغانستان، وقدمت دعماً مالياً قدره ١١٧ مليون دولار لإنشاء جيش قومي أفغاني ليضمن المصالح الروسية في أفغانستان ويبعد شبح امتداد المد الإسلامي الجهادي عن الجمهوريات الإسلامية التي كانت مستعمرات سوفيتية سابقة.

أو ضمان المصالح الاقتصادية مع نشر الفساد واستخدام أفغانستان كقاعدة جديدة لمحاصرة باكستان العدو اللدود، كما فعلت الهند التي أقامت ستة مراكز طبية، وست مدارس، ومعهداً للتقنيات المتعددة، وقدمت ٢٥ طناً من الملابس الشتوية، و٥٠ حافلة ركاب، وثلاث طائرات شحن، وتقوم بتدريب الطيارين في الخطوط الجوية الأفغانية، وفي المجال العسكري قدمت ثلاثمائة عربة عسكرية.
وفي المقابل فإن المنتجات الهندية والتي تشمل برامج الكمبيوتر والأفلام تغرق السوق الأفغانية.
أو فتح المجال أمام التشيع ليغزو أفغانستان ويدعم الطائفة الشيعية والهزارة الشيعة كما فعلت إيران التي دفعت ٥٦٠ مليون دولار لإعادة بناء وتعمير أفغانستان وهو أكبر منحة تقدم من حكومة محسوبة على الإسلام.

أو دعم الحكومة الأفغانية العميلة والقوات الصليبية المحتلة بدون مساعدة الشعب الأفغاني على الخروج من محنته والاعتماد الذاتي على نفسه؛ كما فعلت اليابان التي قدمت ٩٠٠ مليون دولار لإعادة إعمار أفغانستان "من بينها ٨.٢ مليون دولار أنفقت على تسجيل الناخبين، و٨.٨ مليون ذهبت إلى الحكومة لإجراء الانتخابات العامة، وتم إنشاء ٤٦ مدرسة في كافة مناطق الدولة" طبقاً لما ذكره السفير الياباني في كابل (نوريهيرو أوكودا).

أو كما فعلت الحكومة الألمانية التي قدمت ١١٠ مليون دولار كمعونات، ذهب معظمها لتدريب ضباط الشرطة الأفغانية لتعزيز الأمن في البلاد طبقاً لتصريح (ميركو كريبيتش) السكرتير الأول للتنمية والتعاون الدولي والعون الإنساني في السفارة الألمانية في كابل.

ولذا فإن هذه المساعدات العينية والتي تصب في خانة دعم الحكومة الأفغانية عسكرياً وأمنياً وهي بقايا المتخلف في مخازن الدول المانحة لم تغير في واقع الأفغان شيئاً فالطرق والمباني لازالت مدمرة، وإمدادات الطاقة

منعدمة، والمستلزمات الطبية مفتقدة، والمدارس لم يكتمل بناؤها، وليس هناك ماء صالح للشرب للغالبية العظمى من السكان.

كيفية إنفاق المساعدات الدولية

ذكر وزير المالية الأفغاني أنوار الحق أحَدِي أثناء تقديمه للميزانية العامة للسنة المالية ٢٠٠٥ والتي بلغت ٤.٧٥ بليون دولار أن حوالي ٩٣٪ من الميزانية تأتي من العون الدولي والذي سيذهب ٧٥٪ منه لمشروعات التطوير التي يتم إنفاقها عن طريق المانحين مباشرة، بينما لا تزيد مساهمة الحكومة الأفغانية في هذه الميزانية عن ٢٣٣ مليون دولار!.

ويقول أديب فرهدي مدير خدمات التطوير في وزارة إعادة التعمير: "بناءً على ميزانية الحكومة نحن نستطيع فقط دفع الرواتب والأجور وتمويل المشروعات الحالية، لأن التمويل الدولي يتم إنفاقه عن طريق المجتمع الدولي بنفسه، ونحن لا نستطيع التحكم فيه".

والجدير بالذكر أن قرضاي والمسؤولين الحكوميين الأفغان عبروا عن قلقهم من أن معظم المؤسسات غير الحكومية الـ٢٤٠٠ التي تعمل في أفغانستان تضيع معظم التمويل الدولي بجلبها لأطقم أجنبية، برواتب عالية وحوافز بغير ضرورة، وأن معظم المنظمات غير الحكومية هي منظمات خاصة تابعة لشركات ربحية يدّعون أنهم غير ربحيين ليتم إعفاءهم من الضرائب والفوز بالعقود الحكومية على حساب الشركات الأفغانية)[١٢].

ولن نستعرض بالتفصيل كيف تعطي الحكومات الغربية الأموال للمسلمين باليد اليسرى - على عادتهم- وتتسلمها باليد اليمنى موفّرةً ولكننا سنكتفي بمثل واحد تناقلته وسائل الإعلام عن (قيام الإدارة الأمريكية بالتعاقد مع مجموعة ريندون الإعلامية الأمريكية لمساعدة الرئيس الأفغاني حامد قرضاي على التعامل مع الإعلام أوائل عام ٢٠٠٤! ورغم الفاتورة الضخمة والتي بلغت ١.٤ مليون دولار دفعتها الإدارة الأمريكية، ورغم تذمر الأفغان وكثير من المسؤولين الأمريكيين فإن مجموعة ريندون استطاعت الحصول على تمويل أمريكي آخر لتعمل مع حكومة قرضاي ولكن هذه المرة بعقد قيمته ٣.٩ مليون دولار تدفعه وزارة الدفاع الأمريكية لتشكيل مجموعة إعلامية لبرنامج مكافحة المخدرات في أفغانستان! وقد غادرت ريندون أفغانستان بعد انتهاء عقدها الأخير، ولكن مصادر دبلوماسية مطلعة قالت إن المجموعة بصدد توقيع عقد آخر في أفغانستان متعدد الملايين من الدولارات لمدة ثلاث سنوات لنفس الموضوع.

وتشير تقارير المخابرات المركزية الأمريكية إلى أن العمل الذي قامت به المجموعة لتنفيذ العقد الثاني والبالغ ٣.٩ مليون دولار كان لا يحتاج لأكثر من ٢٠٠ ألف دولار فقط!)[١٣].

---

١٢ من مقال بعنوان إعادة إعمار أفغانستان: التحديات والفرص لكمال متين الدين بتاريخ ٢٠٠٥\٣\٢٢ ونشر في جريدة نيوز الباكستانية.

١٣ أمريكا دفعت لمؤسسة إعلامية الأفغان لا يريدونها ٢٠٠٥-١٢-٢٠ Nation

أمريكا وإعادة إعمار أفغانستان

أما الحكومة الأمريكية التي كانت سبب استمرار مسلسل الكوارث التي تحل بالشعب الأفغاني فقد كانت (كونداليزا رايس) وزيرة خارجيتها صرحت بعد زيارتها لأفغانستان في شهر مارس ٢٠٠٥ بأن الولايات المتحدة ارتكبت خطأً بإهمالها لأفغانستان بعد الانسحاب السوفيتي منها، وقالت: "إن هناك الكثير من العمل أكثر من القضاء على بقايا طالبان والقاعدة والقبض على بن لادن. الولايات المتحدة الآن يجب أن توجه طاقتها لتشكيل دولة وإعادة تعمير أفغانستان"[١٤]، فماذا فعلت أمريكا للشعب الأفغاني طوال أربع سنوات من الاحتلال حتى تحقق هذا الكلام الأجوف؟!

يشير تقرير الأمم المتحدة إلى أن التواجد العسكري الأمريكي أنتج جواً من الخوف والإرهاب وانعدام القانون، وإهمال المخاطر المنتظرة على المدى البعيد للأمن نتيجة انعدام المساواة والعدالة.

ووصف جهود إعادة الإعمار التي تمول من قبل الإدارة الأمريكية بأنها "غير ملائمة وخطيرة وتزيد المخاوف من قبل مجموعات الإغاثة لأنها غير واضحة المعالم لدى العسكريين والمدنيين على حد سواء، وجعلت عمال الإغاثة هدفاً للمسلحين"[١٥].

وقبل أن نتكلم عن الآثار المدمرة للاحتلال الصليبي الحالي لأفغانستان من الناحية الاقتصادية، نشير إلى الإنجازات التي يدندن حولها الإعلام الصليبي ونبين زيف ادعائه فيما بعد بالأرقام والحقائق.

كاتب يفند مزاعم الأمريكيين وإدارة قرضاي

إذا كان كل تركيز الأمريكيين وأذنابهم من الدول الصليبية والأفغان العملاء على إعادة تعمير كابل وتحسين الوضع فيها حتى يخدعوا الرأي العام في دولهم والعالم أجمع فإن أدق وصف للعاصمة الأفغانية بعد إنفاق ما يدّعونه من البلايين من الدولارات في هذا المجال هو ما أوردته إحدى الصحف الباكستانية وكان كالتالي: "المدينة تعاني من الإجهاد تحت الضغط المزدوج من ازدياد الكثافة السكانية وانهيار البنية التحتية. الآلاف من المهاجرين عادوا من باكستان وإيران ولكن القليل منهم وجد عملاً له. مجاري الصرف الصحي المفتوحة تخترق شوارع المدينة، ومعظم السكان لا يجدون الكهرباء أكثر من خمس ساعات كل ليلتين. وبينما وصلت درجة الحرارة إلى أدنى من الصفر فإن أفراد العائلات الفقيرة يتجمعون حول مواقد الأخشاب ويتلمسون طريقهم إلى أماكن نومهم على أضواء الشموع"[١٦].

وقد كتب أحد الباحثين الباكستانيين مقالاً فنَّد فيه مزاعم الأمريكيين والإدارة الأفغانية العميلة ويصف الحالة التي يحياها الشعب الأفغاني في ظل الاحتلال ومما جاء فيه: "في الحقيقة يمكن للمرء أن يلمس آثار الحرمان الاقتصادي ليس في كابل وحدها وإنما في خارجها، فالفساد المستشري في إدارة مشاريع البنى

---

١٤ إعادة إعمار أفغانستان: التحديات والفرص بتاريخ ٢٠٠٥\٦\٢٢ ونشر في جريدة نيوز الباكستانية.

١٥ طبقاً لتقرير الأمم المتحدة وذلك نقلاً عن المصدر السابق بنفس التاريخ.

١٦ صحيفة الأمة Nation الباكستانية بتاريخ ٣٠- ١٢- ٢٠٠٥.

التحتية والتنمية البشرية يسبب حنقاً شديداً وغضباً وسط الأفغان، وسوء استخدام الأموال وتبديد المصادر أمراً شائعاً، والبطالة في ارتفاع، وهناك تنامي في ندرة وسائل الراحة المدنية، خصوصاً توفير الطاقة للمدن والبلدات.

ومرحلة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر شهدت بزوغ طبقة جديدة من الأفراد الذين استطاعوا تكوين ثروات طائلة من مصادر مُحرَّمة مهد الطريق لها للسيطرة على السياسة والمجتمع.

أمراء الحرب وزعماء المخدرات ومجرمو الأمس أصبحوا اليوم هم رجال الأعمال والمستثمرين في عامة مشروعات التعمير في كابل - أياً كانت- وهذه الطبقة لم تنجح فقط في الحصول على مكانة متميزة لنفسها في المجتمع بل حرمت الطبقة المتوسطة الناشئة من لعب أي دور في السياسة والمجتمع!"[١٧]

الإنجازات الحيوية التي يدندنون حولها

جاء في التقرير المالي للإدارة الأمريكية عن عام ٢٠٠٤ أن العام ابتدأ باستكمال الطبقة الأولي من تمهيد (رصف) طريق كابل- قندهار السريع، وانتهى بانتخاب رئيس ديمقراطي وتأسيس حكومة دائمة. وأن المهندسين الأمريكيين أعادوا إنشاء ٤٠٠ كم من خط كابل- قندهار السريع، ورصفوا ١٦٠٠كم من الطرق بين الأقاليم، كما قاموا بإصلاح ممر سالانج. وأن حوالي ٤ ملايين طفل اندرجوا في المدارس، وتم إعادة ثلاثة ملايين شخص إلى بيوتهم وقراهم معظمهم من باكستان.

فأول الإنجازات التي يذكرونها (وهي رصف ٤٠٠كم من طريق كابل- قندهار السريع) فنذكر أن الطالبان كانوا قد انتهوا فعلياً من رصف ثلثه قبل سقوط دولتهم، وفي هذا يقول أحد سكان كابل: "التطور الوحيد الذي رأيته في إعادة الإعمار كان بناء طريق كابل- قندهار، وهذا تم فقط لمجرد إنفاق الأموال، ولا أثر للعمل على طريق كابل- جلال أباد، رغم أن هذا الطريق أقصر بكثير من طريق قندهار، وهو من أهم مداخل أفغانستان!"[١٨].

وأما ادعاء رصف ١٦٠٠كم من الطرق الفرعية بين الولايات الأفغانية فتُكَذِّبه الصور التي تُعْرَض في الأفلام الصادرة عن مؤسسة السحاب وغيرها من القنوات الفضائية للقوافل الأمريكية والأفغانية العميلة وهي تسير على طرق إما مدمرة تماماً أو على الحالة السيئة التي كانت عليها من قديم الزمان!

وأما الإنجاز الثاني (إصلاح ممر سالانج) فلأنه ممر حيوي لنقل الأسلحة والعتاد والمؤن وغيرها لقوات التحالف الشمالي الموالية للحكومة الأفغانية، ومن ثمَّ فهي في خدمة الأمريكيين وليست في خدمة الشعب الأفغاني.

فهذه الإنجازات المزعومة تدور في مجملها في النواحي العسكرية والأمنية والخدماتية في حدود مدينة كابل وما حولها ليستفيد منها الأجانب والقوات الأمريكية، أما تطوير الإنتاج الصناعي والزراعي والتقدم التكنولوجي مما يجعل البلد يعتمد على نفسه ذاتياً في المستقبل فلا ذكر له.

---

١٧ أفغانستان إلى أين تذهب؟ بقلم د/ مؤنس أحمر نشر في جريدة دون DW بتاريخ ٢٠٠٥ـ١٢ـ٢٤.

١٨ "البنية التحتية لا زالت في دمار رغم التمويل الضخم" صحيفة نيوز ٤\١\٢٠٠٥

أما إنجازات عام ٢٠٠٥ فهي أدعى للسخرية والاستهزاء أكثر من سابقتها حيث كان أهمها من وجهة نظرهم:

- إجراء الانتخابات التشريعية لأول مرة منذ ثلاثين عاماً، لتدفع الأفغان ناحية الوحدة الوطنية، ولتنقل قتالهم السياسي إلى داخل قبة المجلس النيابي!

- قيام حوالي ٣٠٠ من العناصر المسلحة بإلقاء السلاح خلال العام في إطار برنامج المصالحة الوطنية.
- قيام إدارة قرضاي بما أسمته "أسبوع المحاسبة" حيث تمت استضافة جميع الوزراء والمسؤولين الكبار في الهيئات المستقلة ليعرضوا على الشعب الأفغاني أهم إنجازاتهم خلال العام.
- استضافة مؤتمرين إقليميين لدعم الأنشطة الاقتصادية في المنطقة.

- استقبال أفغانستان لأكثر من عشر شخصيات عالمية من بينها رؤساء وزارات كل من باكستان والهند والنرويج، ووزير الدفاع ووزيرة الخارجية الأمريكيين، وكذلك عدداً من المبعوثين الأجانب الذي جاءوا لبحث جهود إعادة الدولة بناء نفسها في مرحلة ما بعد الطالبان،

- وأما أعظم تلك الإنجازات فكانت توقيع إعلان مشترك مع البيت الأبيض يسمح بحضور طويل الأمد للقوات الأمريكية في أفغانستان، ونجاح إدارة قرضاي في إقناع زعماء حلف الناتو بمد فترة بقاء قواتهم في أفغانستان وتوسيع نطاق عملها إلى الولايات الجنوبية منها!![١٩]

تضليل وتجهيل للمجتمع الدولي

وكانت إحصاءات الإدارتين الأمريكية والأفغانية قد ادعت أن الاقتصاد الأفغاني نما خلال السنوات الثلاث (٢٠٠٤لـ٢٠٠٢) بنسبة ٢٥٪ سنوياً! كما توقعت أن يزداد بنسبة ١٠٪ سنوياً خلال العقد القادم! وطبعاً هذا الهراء لا يستحق تفنيده لمخالفته للعقل والمنطق والواقع الدولي، بل إن التقرير المالي للحكومة الأفغانية عن عام ٢٠٠٥ ذكر أن نسبة النمو الاقتصادي للعام بلغت ١٤٪ مقارنة بالعام الذي سبقه (٢٠٠٤) والتي كانت ٨٪ فقط[٢٠] فأين هذا الرقم مما ذكروه سابقاً للعام نفسه وهو ٢٥٪؟!

كما ذكر تقرير للأمم المتحدة صدر في شهر فبراير ٢٠٠٥ أن معظم عائدات الدولة تذهب إلى أمراء الحرب والساسة الأقوياء والعسكريين وطبعاً لا تدخل في ميزانية الدولة، مما تسبب في اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وبين المدن والأرياف حيث الفقراء يشكلون نصف الشعب الأفغاني.

وهنا ننقل صورتين متناقضتين لحال أهل كابل ما بين الأغنياء والفقراء حيث يذكر التاجر حسن سعيد زاده - وهو صاحب محل بيع ساعات سويسرية فاخرة- أن معظم عملائه من الوزراء الأفغان الحاليين وقادة المجاهدين السابقين وطبقة التجار ورجال الأعمال التي ظهرت بعد الاحتلال الصليبي، والمبيت في أقل غرفة

---

١٩ صحيفة الأمة Nation الباكستانية بتاريخ ٣١- ١٢- ٢٠٠٥.
٢٠ المصدر السابق بتاريخ ٣١- ١٢- ٢٠٠٥.

لليلة واحدة في فندق (سيرينا) - الذي افتتح مؤخراً- تبلغ ٢٧٥ دولاراً في الوقت الذي لا يجد فيه معظم السكان إلا الخبز الجاف يقتاتون به.

وبينما تطل الأبراج والقصور الفاخرة المبهرجة على الشوارع المحفّرة، وقد صممت سلالم الأبراج والشرفات وسدت النوافذ بالمرايا الخضراء حتى تبدو ككعكة الزواج[٢١] بينما عشرات الآلاف من المهاجرين العائدين من باكستان وإيران تم حشرهم في خيام بالية بدون وسائل تدفئة، كما حدث مع إحدى العائلات العائدة حديثاً من باكستان إلى مخيم "سخي" في مدينة مزار شريف حيث مات خمسة أفراد منها دفعة واحدة نتيجة البرد الشديد في هذا الشتاء الجليدي الذي تشهده أفغانستان حالياً!![٢٢]

ماذا وراء الحديث عن زراعة المخدرات

دأبت وسائل الإعلام والمسؤولون الرسميون وغير الرسميين على تصوير أفغانستان على أنها صارت الموطن الأكبر والأساس لإنتاج الأفيون في العالم؛ حتى أن هناك من يصل بحصة أفغانستان إلى ٩٠٪ من الإنتاج العالمي، ويروجون أن تجارة المخدرات تدر على الشعب الأفغاني ٤٠٪ من إجمالي الناتج القومي (حوالى ٤.٥ بليون دولار سنوياً حسب زعمهم)، أي أن الناتج القومي الأفغاني ١١.٢٥ بليون دولار! وفضلاً عن عدم قبول هذا الرقم عقلاً ولا منطقاً لأنه يتجاوز الدخل القومي للعديد من الدول التي تفوق أفغانستان بمراحل في عدد السكان والمستوي الاجتماعي والمكانة الدولية فإننا نعتقد أن الهدف الأساس من ذلك هو صرف دول العالم عن مساعدة الأفغان من ناحية، ومن ناحية أخرى قطع يد العون من المسلمين لإخوانهم فضلاً عن أن يأتوا لنصرتهم والجهاد معهم جنباً إلى جنب ضد القوات الصليبية المحتلة.

وفي الوقت الذي تدّعي فيه الحكومة العميلة أنها تسعى للقضاء على زراعة المخدرات في أفغانستان وقيام مجموعة ريندون الإعلامية الأمريكية بسرقة ٣.٩ مليون دولار من أموال المساعدات بحجة القيام بحملة إعلامية في هذا المجال، رغم ذلك فإن زراعة المخدرات في زيادة مستمرة، وذلك لأن الحكومة لم تقدم البديل للمزارعين حتى يتجهوا لزراعة المحاصيل الزراعية النافعة كالقمح وغيره، حيث يقول سيد عزيز ظاهر - وهو وزير زراعة سابق- : "هناك سببان لعدم نجاح البرنامج وهما أن الحكومة فشلت في توزيع الأسمدة والبذور التي وعدتهم بها، والسبب الثاني هو أن الأفيون أكثر ربحية من أي محصول آخر؛ ففي الوقت الذي يبلغ فيه العائد من زراعة هكتار واحد بالخشخاش ٥٤٠٠ دولار فإن العائد من زراعة نفس المساحة بالقمح هو ٥٥٠ دولار فقط"[٢٣].

وعـود انتخـابية كـاذبة

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} البقرة ٢٠٤

---

٢١ بتصرف عن مقالة وردت بصحيفة Nation الباكستانية بتاريخ ٣٠- ١٢- ٢٠٠٥.

٢٢ المصدر السابق بتاريخ ٧- ١- ٢٠٠٦.

٢٣ صحيفة الأمة Nation الباكستانية بتاريخ ٢٠٠٦/١/٢.

(وبعض الناس من المنافقين يعجبك - أيها الرسول- كلامه الفصيح الذي يريد به حظًا من حظوظ الدنيا لا الآخرة، ويحلف مستشهدًا بالله على ما في قلبه من محبة الإسلام، وفي هذا غاية الجرأة على الله، وهو شديد العداوة والخصومة للإسلام والمسلمين)[24].

وكان الرئيس الديمقراطي المزعوم حامد قرضاي قد قال أثناء حملته الانتخابية الرئاسية ما يلي: ("لن أدخر وسعاً في دفع الدولة إلى مستوى الاعتماد على النفس، والتقدم والازدهار والرفاهية"، وهي نفس الوعود التي وعد بها سابقاً بإعادة تعمير الدولة التي دمرتها الحروب وتأسيس نظام أمني مستقر، والتخفيف من معاناة الفقراء)[25].

ويأتي الرد على كذبه من امرأة أفغانية - في الأربعينيات من عمرها- تعيش في منطقة رحمن مينا في كابل حينما ظنت أن الصحافي الذي جاء يسألها عن أحوالهم المعيشية موظفاً حكومياً فاحتدت عليه ووجهت انتقاداتها للرئيس قائلة: "افعل شيئاً لإنهاء جوع الناس! كل يوم جوع وتشرد، أنت تأكل كل الأموال التي تأتي من الأجانب، استح على نفسك).

ويقول رمضان بشر دوست وزير التخطيط السابق في الحكومة الانتقالية: "حوالي ٦٧ مليون دولار تم تخصيصها لخفض البطالة، ومع ذلك فإن عدد العاطلين قد ازداد، الحكومة يجب أن تشرح سياستها بالنسبة للمعونات! مهندسونا يتلقون راتباً ٦٠ دولاراً شهرياً، ولكن الحكومة تستجلب أناساً أجانب وتعطيهم رواتب باهظة مع عدم معرفتهم بالبلد حتى ينفذوا المشروعات التي تقابل احتياجات الناس، هؤلاء فقط يأخذون المال ويفرون".

دور الحكومة العميلة في ازدياد معاناة الأفغان

يقول المواطنون الأفغان إن المشكلات الاقتصادية خصوصاً البطالة وضعف الأجور تأتي في المرتبة الثانية للمشاكل القومية وتعادل مشكلة نقص المياه في قائمة أكبر المشاكل التي تواجههم.

ويؤكد الخبراء الاقتصاديون أن عدد العمال اليدويين الباحثين عن عمل قد ازداد مع تأسيس الإدارة الانتقالية بسبب عودة أعداد هائلة من الناس ضمن مشروع إعادة التوطين للذين قدموا من باكستان وإيران بناءً على دعوة الحكومة المركزية.

ويقول سيد مسعود - اقتصادي ومساعد أستاذ بجامعة كابل- : (إلى أن يتم الانتهاء من المشاريع الأساسية من الطرق والماء والكهرباء، فإن هناك فرصة ضعيفة لتحقيق النمو الاقتصادي. ولما كانت الأعمال الحرة الصغيرة جزء من عجلة الاقتصاد والحكومة لم تفعل شيئاً لهم فهي ترتكب بذلك "جريمة اقتصادية")[26].

---

٢٤ التفسير الميسر.

٢٥ صحيفة نيوز الباكستانية بتاريخ ٨- ١٠- ٢٠٠٤

٢٦ أفغانستان مبتلاة بالفقر بقلم: منير محاربان (صحيفة The Statesman) الباكستانية بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٤.

ويحاول إسماعيل خان والي هرات سابقاً ووزير الطاقة حالياً التماس العذر للحكومة في عدم توفير مصادر الطاقة اللازمة لتشغيل المصانع والورش عندما يقول: "معدلات المياه بالقرب من السدود الكهرومائية (التي تولد الكهرباء من الماء) لازالت منخفضة بشدة، وشبكة الكهرباء تم إصلاحها وتم توقيع اتفاقيات لاستيراد ٦٠٠ ميجاوات من الكهرباء من الدولتين المجاورتين أوزبكستان وطاجكستان. ولكن بناء شبكة من الأبراج المعدنية العملاقة لنقل الطاقة من فوق جبال الهندوكوش بطئ ومكلف"[٢٧])

ولكن أين البلايين التي يدَّعون أنها انهالت على الشعب الأفغاني طوال الأربع سنوات الماضية؟! وأيهما كان أولى بالبداية توفير الطاقة لرفع المعاناة عن البشر وإنشاء المصانع للقضاء على البطالة التي تطحن غالبية الشعب الأفغاني أم بناء القصور الفاخرة والفنادق وتوفير وسائل الرفاهية للمترفين والانتهازيين والكفرة الصليبيين؟!

يقول نوروز وهو في الخمسين من عمره بأسى: "أنا كنت أعمل في مصنع لتصنيع الزبيب، وبالرغم من أن الراتب كان لا يكفي احتياجات الأسرة، لكن وضعي كان أحسن مما أنا عليه الآن".

وبدلاً من أن تخفف الحكومة العميلة من وطأة أزمة البطالة وتأثيرها على المجتمع فإنها تقوم بإزالة الأكشاك وعربات الباعة التي تصطف عند مواقف السيارات خاصة التي تقع على الشوارع الفرعية الموصلة للعاصمة كجزء من عملية تطهير كبرى، وهي التي كانت تبيع بضائع تتدرج من التفاح حتى حمامات الزنك عن طريق الباعة المتجولين سواء على عربات اليد أو الأكشاك. يقول دوست محمد وهو صاحب محل بيع زهور في وسط كابل: "إنه منذ اختفاء الباعة المتجولين فإن الأسعار زادت بنسبة ٥٠٪"[٢٨].

وهاك مثالاً آخر على الجرائم التي ترتكبها حكومة قرضاي في حق الشعب الأفغاني حيث أصدرت قراراً بمنع استيراد الفحم من باكستان وذلك لمصلحة كبار المسؤولين والتجار الأفغان فكانت النتيجة أن ارتفع سعر الطن من ٨٠ دولاراً إلى ١٦٠ دولاراً- أي الضعف- نتيجة عملية تهريبه المكلفة عبر الجبال من باكستان، وسوء حالة الطرق التي يتم نقله عليها من مدينة مزار شريف مع الارتفاع الحاد في سعر الديزل، وبالتالي ارتفعت قيمة الألف وحدة من الآجر من ٢٣٠٠ أفغاني (٤٦$) إلى ٣١٠٠ أفغاني (٦٢$) وبالتالي قل الطلب عليه وأصبحت تكلفة إنتاجه مساوية لسعر بيعه ولذا فإن ٧٢ قَميناً (التنور الذي يطبخ فيه اللَّبِن) من أصل ٧٥ قَميناً- في جلال آباد وحدها- توقف عن الإنتاج، وتشرد حوالي ١٨٦٠٠ عامل كانوا يعملون بها![٢٩]

الحل الأمثل للمشكلة الاقتصادية

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} الأعراف ٩٦

---

٢٧ صحيفة الأمة Nation الباكستانية بتاريخ ٣٠- ١٢- ٢٠٠٥.

٢٨ "تنفقات حرب أفغانستان تتخطى حاجز الأربعين بليون دولار" صحيفة نيوز بتاريخ ١٧- ١- ٢٠٠٥.

٢٩ المصدر السابق بتاريخ ٢٠٠٥م/١٢م/٢٩م.

(ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه، ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم).

{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} المائدة ٦٦

(ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزِل عليك أيها الرسول - وهو القرآن الكريم - لرُزِقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وهذا جزاء الدنيا)[٣٠].

ولكن كيف يمكن ذلك من التقوى وإقامة شريعة الله حتى تتنزل عليهم البركات من السماء والأرض، والمحتل الصليبي يجثم على صدر الشعب الأفغاني المسلم والحكومة العميلة والمنتفعين من بقائها يدمرون كل ما هو طيب وحلال في هذا البلد، ويدعمون ويدافعون عن الفساد والمفسدين وينصرون الكفرة المحتلين؟!

لذا على الشعب الأفغاني المسلم أن ينهض للدفاع عن دينه وعرضه وحاضره ومستقبله، ولا يرضى بالدونية وعيشة العبيد الذين يرون سيدهم يتمتع بكل شيء بينما يقنعون بالفتات ومسح الأطباق! وليكن شعارهم قول سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: "لضربة بسيف في عزٍّ أهون من ضربة بسوطٍ في ذلٍّ"، وقول الشاعر:

ولا ألـينُ لغير الحـقِّ أنمـلةً ... حتى يلـينَ لضرسِ الماضـغِ الحجرُ

وحاشا لله أن يكونوا ممن قال الله ﷻ فيهم: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} طه ١٢٤.

وعلى الأمة الإسلامية أن تساعدهم على التحرر من الاحتلال والتبعية بكل ما تستطيعه من مال ورجال لترفع عن نفسها الحرج والإثم وتقي نفسها مصارع السوء!

ألا هل بلغنا اللهم فاشهد، والحمد لله رب العالمين.

---

٣٠ التفسير الميسر.

كلمة حق

وإخواناً حسبتهمو دروعاً (٣/٢)

بقلم الشيخ/ عبد الحكيم حسّان

الحمد لله موجب الجهاد بحكمته وناصر أهل الإسلام بقدرته، والصلاة والسلام على الضحوك القتال محمد رسول الله ﷺ وعلى أصحابه أجمعين وبعد:

فنستكمل في هذا العدد بإذن الله تعالى الرد على فرية أخرى من الافتراءات الباطلة التي يطلقها المثبطون عن الجهاد ألا وهي زعمهم أن جماعات المجاهدين ما هي إلا جماعات ومجموعات لم تأخذ حظها الكامل من التربية، فنقول وبالله تعالى التوفيق وبه نتأيد:

إنا قد ابتلينا في هذا الزمان بطائفة من أهل الإسلام يريدون صرف الشباب عن فرض الجهاد في سبيل الله تعالى بدعوى وجوب التربية والتي لا يعرف المنادون بها نهاية لها، ويدّعون أنه لا يصح - بل ليس من الشريعة في شيء - الجهاد مع قوم ناقصي الإيمان، وهؤلاء إنما يريدون إباحة ديار المسلمين وأعراضهم ودماءهم لأعداء الله تعالى، فإن الجهاد الحاصل في الأزمنة المتأخرة من عصور الدولة الإسلامية وإلى يومنا هذا كان على هذا الوجه الذي ينكرونه، ولا يقول أحد أن الجهاد مع أمراء يتلبسون ببعض المعاصي هو الكمال في ذلك، ولكننا نتكلم عن واقع حالي للمسلمين وهو أنه إذا ما استطاع المسلمون الجهاد خلف التقي الصالح كامل الصلاح والتقى فبها ونعمت، وإلا فإن أعداء الله تعالى من اليهود والنصارى والمرتدين وأهل الملل الكافرة يتربصون بأهل الإسلام وينتظرون الفرصة للقضاء عليهم، وهاهم قد أحكموا قبضتهم الحديدية على أغلب ديار المسلمين سواء بالقوة العسكرية أو بتنصيب عملائهم من المرتدين، فهل يجب على المسلمين ترك الجهاد والحالة هذه حتى يخرج لنا من الأرض أو ينزل لنا من السماء إمام معصوم أو إمام بلغ الغاية والكمال في التقى والرشد؟ أم أنه يجب علينا أن ننتظر السنين الطويلة التي لا يعرف أحد لها نهاية حتى يحصل أهل الإسلام من بينهم من بلغ المنزلة المطلوبة؟ ثم من الذي يشهد له بذلك؟... إلى آخر التساؤلات التي يجب الإجابة عليها.

القتال مع كل بر وفاجر

والصحيح في هذا الحال أن يقاتل المسلمون أعداء الله تعالى - سواء في جهاد الدفع أو الطلب - خلف من يقيم الجهاد ومعه وإن كان به بعض التقصير أو العصيان، وفي هذا تحصيل لأعظم المصالح ودفع لأعلى المفاسد، فإن المسلمين بين أمرين: إما الجهاد خلف هؤلاء الأمراء ودفع عدوان الكافرين، أو ترك الجهاد بالكلية والذي ينبني عليه ما نراه ونشاهده في بلادنا من علو الكفر وأهله وضياع شريعة الله تعالى وانتشار الفساد والظلم.

ولذلك قال ابن قدامة رحمه الله تعالى في بيان ذلك في شرح قول الخرقي رحمه الله: (ويُغزى مع كل بر

وفاجر)، قال ابن قدامة رحمه الله: يعني مع كل إمام، قال أبو عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- وسئل عن الرجل يقول: أنا لا أغزو ويأخذه ولد العباس، إنما يوفر الفيء عليهم!، فقال: "سبحان الله هؤلاء قوم سوء هؤلاء القعدة مثبطون جهال"، فيقال: أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزو؟! أليس كان قد ذهب الإسلام؟ ما كانت تصنع الروم؟!، وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً)[٣١]، وبإسناده عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، والإيمان بالأقدار)[٣٢]، ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم، وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم، قال الله تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ)[٣٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : (اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة"، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها...إلى أن قال رحمه الله: فيُقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع - وإن كان فيه فجور - على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً، كما سُئِل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغزى؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر، وقد قال النبي ﷺ:(إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)، وروي (بأقوام لا خلاق لهم)[٣٤]، وإن لم يكن فاجراً كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين، إذا لم يسد مسده). اهـ[٣٥]

وقد قال ابن تيمية أيضا في كلام جامع عن هذه المسألة - وذلك في كلامه عن قتال التتار- : فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته ولإقامة دينه وطاعة رسوله ﷺ، وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور، وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه، كان الواجب أيضا قتالهم دفعاً لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما، فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة

---

(٣١) رواه أبو داود وأبو يعلى من حديث أبي هريرة، قال الشوكاني: لا بأس بإسناده إلا أنه من رواية مكحول عن أبي هريرة ولم يسمع منه.

(٣٢) رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذري، وفي إسناده يزيد بن أبي نشبة وهو مجهول، وأخرجه أيضا سعيد بن منصور وفيه ضعف وله شواهد(راجع نيل الأوطار للشوكاني باب الجهاد فرض كفاية وأنه شرع مع البر والفاجر).

(٣٣) المغني مع الشرح الكبير، والآية من سورة البقرة:٢٥١.

(٣٤) رواه النسائي وابن حبان عن أنس ﷺ، ورواه أحمد والطبراني عن أبي بكرة ﷺ.

(٣٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج ٢٨ / ٢٥٤ - ٢٥٥.

والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر...إلى أن قال رحمه الله: بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال:(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم)[٣٦]، فهذا الحديث يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله ﷺ: (الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر أو عدل عادل)، وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة)[٣٧] إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة مع جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة، هذا مع إخباره ﷺ أنه (سيلى أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد على الحوض)[٣٨].

الطاعة لنا والمعصية عليهم

فإذا أحاط المرء علماً بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم، علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض: جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسئول عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً، وهي واجبة على كل مكلف، وهي طريقة متوسطة بين طريقة الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقاً وإن لم يكونوا أبراراً). اهـ[٣٩].

ومما سبق يتبين أن الجهاد ماض لا يتوقف بسبب جور أو ظلم بعض الحكام والأمراء، وإنه إن لم يمكن الجهاد خلف الأمير التقي الصالح، فإنه يُجاهد خلف الأمثل فالأمثل، ولا يُترك الجهاد مع بعض الأمراء المسلمين لأن فيهم أو في عسكرهم من ليس بتقي أو من لم تكتمل تربيته، فإن ترك الجهاد والحالة هذه يؤدي إلى ضياع الإسلام وضعف أهله، وهذا ما نراه واقعا نعيشه في هذا الزمان، فإنه لما انتشر هذا المذهب الفاسد - أعني ترك الجهاد بسبب قلة التربية - وقعد أهل الإسلام عن منازلة أعداء الملة بهذه الحجة غلب الكفار على ديار المسلمين وعلى أعراضهم وأموالهم بل وأذلوهم وحكموهم بالقوانين الوضعية الكافرة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وسلبوا المسلمين كل مظاهر القوة والعزة حتى صار المسلمون أذل الناس وأضعفهم، وانتشرت المذاهب الباطلة من اشتراكية وديمقراطية وعلمانية وغيرها، وما استطاع المسلمون التأثير في حياة الناس وظل

---

(٣٦) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والترمذي وأبو داود عن جماعة من الصحابة ﷺ.

(٣٧) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة والبيهقي عن عدة من الصحابة ﷺ.

(٣٨) رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم.

(٣٩) مجموع الفتاوى، ج ٢٨ / ٥٠٦ - ٥٠٨، وراجع شرح العقيدة الطحاوية / ٤٢٢ - ٤٢٣، فقد ذكر كلاما طويلا لا يخرج عما ذكرناه.

بعضهم يردد: لا جهاد قبل اكتمال التربية، بل قد تجرأ بعضهم فأبطل الجهاد قبل كمال التربية أصلاً!.

إلى ماذا يهدف هؤلاء؟

ولا ندري ماذا يقصد أصحاب هذا الشعار، هل يقصدون إيقاف الجهاد حتى يكون كل واحد من المسلمين مثل أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ﷺ ؟!!! أم يقصدون إيقاف القتال حتى يكون كل واحد من المجاهدين أمثال ابن تيمية وابن القيم والعز ابن عبد السلام وأمثالهم؟! وما هو حد هذه التربية التي يُقال عندها: الآن قد وجب الجهاد؟ أهي قيام الليل كل ليلة؟ أم صيام النهار كل يوم؟ أم ختم القرآن كل ثلاث؟ أم أنهم يوقفون الجهاد حتى تُصفّى كتب العلم كلها مما فيها من المخالفات سواء الحديثية أو الفقهية؟ وأنّى لهم أن يوفوا بذلك كله؟ ومن المعلوم أن ما لا ينضبط لا يصح أن يكون شرطاً.

والله تبارك وتعالى قد أمر رسوله ﷺ - الذي هو أعلم وأعبد وأزهد الناس وأشجعهم - قد أمره بالعبادة ومجاهدة النفس إلى أن يموت فقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[40]، وهل يستطيع الإنسان أن يحكم على نفسه أو على غيره أنه قد أكمل تربية نفسه وأصبح تقياً باراً صالحاً قد وجب عليه الجهاد حينئذ؟ فإن فعل فقد دخل في نهي الله تعالى عن تزكية النفس حيث قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[41]، وقوله ذلك دليل على أنه لم تكتمل تربيته، وهل يستطيع أحد أن يحكم على أحد بأنه قد صار مكتمل الإيمان سليم القلب صحيح العمل؟ ولذلك فإن مذهب أهل السنة والجماعة الاستثناء في الإيمان - وهو أن يقول الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله - على قصد عدم إكمال شعب الإيمان كلها والقيام بكل واجباته.

دفع الفتنة من أوجب الطاعات

هذا وإن دفع فتنة الكفار أوجب شيء على المسلمين بعد الإيمان بالله تعالى في هذا الزمان، وهل هناك فتنة أعظم من حلول الكافرين بعقر بلاد المسلمين يفرضون عليهم أحكام الكفر ويسعون في إفساد المسلمين وفتنتهم عن دينهم بشتى وسائل المكر ويبيحون بلاد المسلمين لأعدائهم ينهبون ثرواتهم ويعيثون فيها فساداً، فمن قال بتأجيل جهاد هؤلاء الكفار حتى تكتمل تربية المشاركين في الجهاد، فقد قال قولاً تخالفه عموم الأدلة القاضية بوجوب الجهاد ودوامه واستمراره إلى يوم القيامة.

ثم ألا يدري أصحاب هذا القول أن الكفار لا يزالون يحاربون أهل الإيمان حتى يردوهم عن دينهم، ولن يتركوا للمربين الفرصة للقيام بما يرغبون، والواقع خير شاهد على ذلك، فإن هؤلاء المجرمين بما يملكون من وسائل الترغيب والترهيب والتأثير الإعلامي والمادي يستطيعون التأثير على العامة بحيث إذا تقدم معهم من يتعهدهم بالتربية خطوة رجع هؤلاء بهم إلى الكفر والفساد خطوات، والنتيجة الواضحة للعيان هي ضياع دين كثير من

---

(٤٠) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٤١) سورة النجم،الآية: ٣٢.

الناس تحت تأثير السيف والذهب وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[42]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[43].

كذلك فإن هؤلاء الكافرين لن يبقوا على أي وسيلة من وسائل التربية الصالحة إلا وأغلقوها أو أفرغوها من مضمونها فتبقى صورة بلا معنى ولا فائدة، ولذلك قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[44] فلولا دفع الله تعالى الكافرين بالمجاهدين في سبيله لما بقي مكان صالح لعبادة الله سبحانه، قال القرطبي رحمه الله: أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتل الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بناه أرباب الديانات من مواضع العبادات، لكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، فالجهاد أمر متقدم في الأمم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات.

بعض المخالفات التي وقعت زمن النبي ﷺ

وقد حدث على عهد النبي ﷺ بعض المخالفات ممن خرج معه للجهاد سواء من الأمراء أو الجند ـ على جلالة قدرهم وعلو منزلتهم ـ وما أوقف النبي ﷺ الجهاد ليستكمل تربية هؤلاء المخالفين، وما طردهم أيضاً من جيشه بل أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر بحسب حالهم وما فعلوه، وهذا معلوم مستفيض لمن قرأ سيرته وسأذكر طرفاً من ذلك للتذكير:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى بني خزيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، مرتين)[45] فقد ارتكب خالد ﷺ مخالفة حيث قتل هؤلاء القوم وقد أسلموا، ولذلك فإن النبي ﷺ بعث دياتهم وما تلف من أموالهم حتى ميلغة الكلب، والمقصود أن النبي ﷺ ما عزل خالداً ولا أخرجه من الجيش ولا أوقف الجهاد لهذا الفعل، بل فعل ما يجب عليه شرعاً بدفع دياتهم وأنكر على خالد بحسب ما فعل[46]

وعن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية وأمَّر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم

---

(٤٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٤٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٤٤) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٤٥) رواه البخاري في باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد، ورواه أيضا أحمد وابن حبان والنسائي والبيهقي.

(٤٦) راجع تفسير ابن كثير ج١/٥٣٦.

فيها، فجمعوا حطباً فأوقدوا، فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فراراً من النار أفندخلها؟!، فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي ﷺ فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف)(٤٧) فقد أمرهم هذا الأمير بالدخول في النار ولا شك أن هذه معصية وقتل نفس بغير حق ومع ذلك فلم يوقف النبي ﷺ الجهاد ولا أخرجهم من الجند حتى يستكملوا التربية ولا قال مثل ما يقول هؤلاء.

وقد قتل أسامة بن زيد ﷺ رجلاً في إحدى الغزوات بعدما قال لا إله إلا الله وأنكر عليه النبي ﷺ ذلك إنكاراً شديداً وندم أسامة ﷺ على ذلك ندماً شديداً وما منعه ﷺ من الجهاد بعدها، بل كان أمير الجيش الذي جهزه النبي ﷺ قبل وفاته، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: (يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟!) قلت: كان متعوذا. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم (٤٨)

وقد وقع من بعض الصحابة ﷺ بعض الهنات غير هذا ولم يمنعهم النبي ﷺ من الجهاد بسببها ولم يوقف الجهاد جملة حتى يتأكد أن القوم قد كملت تربيتهم، بل أنكر ﷺ ما رأى وبلغه من ذلك كل بحسبه.

فالتربية الإيمانية تمارس أثناء الجهاد ولا يؤجل الجهاد من أجلها، فهي لا تنتهي إلا بموت العبد وبخروج روحه من جسده والقول بتأجيل الجهاد بحجة عدم اكتمالها يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية، فإذا كان قد وقع في القرون الفاضلة ما وقع فهل يكون من بعدهم خيراً منهم أو معصومين من المعاصي دونهم وقد قال النبي ﷺ: (لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) (٤٩)

العدالة ليست شرطاً للجهاد

ومن المعلوم أن العدالة ليست من شروط وجوب الجهاد، وأنه يجوز للفاسق أن يخرج للجهاد إذا كانت منفعته للجهاد أعظم من مفسدة خروجه، وقد ورد في النصوص الشرعية أن الشهادة تكفّر الذنوب، فإذا كان لا يخرج للجهاد إلا من أكمل التربية الإيمانية وخلا من المعاصي والمخالفات فأي شيء تكفره الشهادة إذن؟ ولولا الإطالة لذكرنا بعضاً من هذه النصوص وحسبنا أنها معلومة مشهورة.

هذا ولا يعيب طائفة من المجاهدين أن يكون بين صفوفهم بعض العصاة، إنما الذي يعيبها أن تقرهم على المعصية ولا تأخذهم بطاعة الله تعالى أمراً ونهياً، وقد كان المنافقون يخرجون مع النبي ﷺ في الغزو، والمقصود من هذا أنه إذا وجد بعض العصاة في طائفة مجاهدة قائمة بأمر الله فإن هذا ليس بمبرر لترك الجهاد معها،

---

(٤٧) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وأبو يعلى.

(٤٨) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن حبان والبيهقي.

(٤٩) رواه البخاري وتمامه عن الزبير بن عدي قال أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج فقال: (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم)

وقد اتفق العلماء على الجهاد مع البر والفاجر وأن ذلك خير من ترك الجهاد جملة والذي يؤدي إلى استئصال شأفة الإسلام وضياع شريعته وذل أهله.

ولذلك فقد قال ابن تيمية - رحمه الله- : فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب، كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس. اهـ[50]

وقال الشاطبي رحمه الله مؤصلا هذه المسألة: وكذلك الجهاد مع ولاة الجور قال العلماء بجوازه، قال مالك: (لو ترك ذلك لكان ضرراً على المسلمين، فالجهاد ضروري والوالي فيه ضروري والعدالة فيه مكملة للضروري، والمكمل إذا عاد للأصل بالإبطال لم يعتبر). اهـ[51]

وقد أنكر ابن حزم رحمه الله على من يقول بتأجيل القيام بالجهاد بسبب فسق بعض المجاهدين فقال رحمه الله: ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم من أجل فسق رجل مسلم لا يحاسب غيره بفسقه. اهـ[52]

وفي وجوب الجهاد مع كل مسلم مهما كان حاله قال ابن حزم رحمه الله: وأما الجهاد فهو واجب مع كل إمام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين لأنه تعاون على البر والتقوى، وفرض على كل أحد دعا إلى الله تعالى وإلى دين الإسلام ومنع المسلمين ممن أرادهم، قال تعالى {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...الآية}التوبة ٥ ، فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان وبالله تعالى التوفيق. اهـ[53]

ولذلك نقول: إن الواجب على المسلمين أن يتقوا الله قدر استطاعتهم، فهذا هو المأمور به قال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}[54] ، ويجب عليهم أن يبحثوا عن أمثل الناس في عصرهم وبلدهم من أهل الحق فينصبوهم أمراء للجهاد ولا يفرطون في ذلك، ويجب عليهم القيام بالجهاد في سبيل الله تعالى ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً، فإن تيسر الجهاد مع المؤمن التقي البار فهذا هو الكمال المطلوب، وإن لم يمكن الجهاد إلا خلف من فيه نوع تقصير أو معصية يُجاهد خلفه تحصيلاً لأعظم المصلحتين ودفعاً لأعظم المفسدتين، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو وسط بين مذهب المرجئة المفرطة والخوارج الغالية؛

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.

---

(٥٠) مجموع الفتاوى ج٢٨/٢١٢.

(٥١) الموافقات ج٢/٥١.

(٥٢) المحلى ج ٧/ ٣٠٠ ، ط: دار الآفاق الجديدة.

(٥٣) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج٤/١٣٧

(٥٣) سورة التغابن ١٦.

التقـــارير الميدانيـــة

ملخص العمليات التي تمت في ولاية خوست[55]

عمليات مجموعة أبي ناصر في ولاية خوست

قتل ستة جنود أمريكيين وتدمير سيارتين (همر) في هجوم على مركزهم

١٠ شعبان ١٤٢٦هـ:

قام المجاهدون من القاعدة بقيادة أبي ناصر، والطالبان بهجوم على مركز للأمريكيين في خُلْبي سات، بعد ترصد مكثف ودقيق قام به أبو ناصر، وتم تقسيم المجاهدين إلى ثلاث مجموعات، وأسفر الهجوم عن قتل ستة من أفراد العدو الصليبي، واثنين من المرتدين من الجيش العميل، وتدمير سيارتي همر، كانتا تحاولان الهروب مع السيارات الأخرى، وكان هناك مركز للمرتدين فقام الطيران الأمريكي بقصفه، ظناً منه أنهم مجاهدون فقتل من المرتدين ثلاثة.

ومما نتج عن هذه العملية، أن العوام تشجعوا وقاموا بالرماية شبه اليومية على مركز الأمريكيين مما أدى إلى فرارهم من المركزِ لا يلوون على شيء، ومن ثَمَّ تجمع العوام في المركز تلهج ألسنتهم بالتكبير والتهليل؛ فرحاً بانقشاع سحابة الفساد والكفر عنهم ومستبشرين بهذا الفتح الكبير....

تدمير مركز على شير بالكامل

وفي ٢٠ شعبان من ١٤٢٦هـ:

قامت المجموعة باقتحام مركز (علي شير) الجديد، والذي بناه الأمريكان، وتدميره بالكامل وحرقه، وغنم المجاهدون ٩ رشاشات خفيفة ومخابرة، وقتل أحد المرتدين وجرح ثلاثة منهم، وكذلك تم تدمير شاحنة صغيرة، وسيارة أخرى خصوصية، ودراجة نارية، وتدمير وحرق مستودع السلاح بالمركز، وقد جرح أحد المجاهدين حيث دخلت الطلقة من نحره وخرجت من ظهره من فوق القلب تحديداً، إلا أنه لم يقتل وتم علاجه وشفي بفضل الله.

اغتيال أحد كبار الجواسيس في خوست

وفي يوم ٢٩ رمضان ١٤٢٦هـ:

قامت المجموعة بقتل المدعو (مدير أفضل) وهو من كبار الجواسيس في خوست وكان يؤدي صلاة التراويح في المسجد متظاهراً بحب الدين والحفاظ على شعائره، ولكن لا مفر من انتقام المجاهدين منه ومن أمثاله - بإذن الله- .

اقتحام مركز باك للمرتدين وإيقاع خسائر مادية وبشرية بالمنافقين

وفي ١٠ شوال ١٤٢٦هـ:

---

٥٥ يلاحظ التأخر في كتابة بعض التقارير وذلك لبعد المسافات والمشاكل الأمنية في الطريق.

قامت المجموعة بعملية اقتحام على مركز (باك)، بالتعاون مع الطالبان بالمنطقة، وتم الاقتحام على مركزي باك (القديم والجديد)، وبفضل الله تم قتل ثلاثة من المرتدين أحدهم ضابط يدعى (جل محمد)، وتم تدمير سيارتين إحداهما جيب (ميتسوبيشي) والأخرى (هايلكس)، ودراجتين ناريتين، ومولدي كهرباء، وحرق مستودع الذخيرة والمركز، وغنم المجاهدون ٣ قواذف أر بي جي، و٩ رشاشات خفيفة (كلاشنكوف)، ورشاش متوسط (بيكا)، ولم يقتل أحد من المجاهدين بينما أصيب ٣ منهم بجروح طفيفة بفضل الله.

تدمير مروحية قتالية في قصف صاروخي لقاعدة أمريكية

وفي ١٧ شوال ١٤٢٦هـ:

قامت المجموعة بقيادة أبي ناصر برماية ١٠ صواريخ بي إم على مطار القاعدة الأمريكية الجديدة بخوست، وكانت الرماية ولله الحمد موفقة حيث سقط أحد الصواريخ بقرب طائرة مروحية قتالية فدمرها، وسقط آخر على غرفة للمرتدين فقتل أحدهم ويدعى فاروق، والثالث على صهريج للديزل فاشتعلت فيه النيران، وقد منع الأمريكيون العمال الأفغان في اليوم التالي من الدخول إلى المطار حتى لا يروا آثار التدمير.

اغتيال أكبر جواسيس خوست رمياً بالرصاص

١٠ذي القعدة ١٤٢٦هـ:

تمكن المجاهدون من مجموعة أبي ناصر والطالبان من قتل المدعو "تتك" واسمه الأصلي خيالي جاه، وهو أكبر جواسيس خوست من مديرية (صوبري) قرية (مكتب)، بينما كان عائداً من دكانه إلى بيته وقت صلاة المغرب، بعد أن ترصد له اثنان من المجاهدين وقاموا بقتله رمياً بالرصاص، وكان هذا العميل رئيساً لنحو ثلاثين من الجواسيس، وقد فشلت محاولتان من قبل لقتله، وهذه المرة مكّن الله المجاهدين منه فلله الحمد والمنة.

تفجير سيارة أمريكية في قرية ليندي

١٤ ذو القعدة:

قام المجاهدون التابعون للمولوي عبد القادر بتفجير لغم دبابة تحت سيارة أمريكية في قرية ليندي الواقعة بين السوق في خوست ومنطقة ماتون، وذلك الساعة ٣،٣٠ عصراً.

وبمجرد حصول التفجير أغلق الأمريكان الطريق تماماً حتى الساعة ٧ مساءً، حتى يتمكنوا من تنظيف منطقة التفجير من آثار التدمير الذي حدث للسيارة وإخلاء القتلى والجرحى.

جلال آباد

ملخص العمليات التي تمت خلال الفترة (٢٠ أكتوبر – ١٤ ديسمبر)

٢٠ أكتوبر: تم تفجير عبوة ناسفة في سيارة بي أر تي فقتل جميع ركابها، كما أصيبت سيارة أخرى بأضرار شديدة وجرح بعض من كانوا فيها.

١٩ نوفمبر: انفجار لغم تحت سيارة مؤسسة صليبية بين مخيم خالص ودولت زي، وقد جرح أحد الصليبيين وخربت السيارة.

٢٣ نوفمبر: قام المجاهدون من مجموعة قاري شاهد بقصف مطار جلال آباد بالصواريخ، كما استشهد المجاهد سيف الرحمن وجرح حيات الله في عملية استشهادية.

٢٥ نوفمبر: تم تفجير سيارة بمنطقة خوكياني فقتل اثنان من المرتدين المرتزقة من الشرطة وجرح نائب رئيس المخابرات (وطن خان) جرحاً شديداً ونقل إلى بغرام.

١٤ ديسمبر: فجر مجاهدو الحزب الإسلامي مركزاً للموسيقى والفجور بمربع تالاشي بجلال آباد.

من ناحية أخرى قامت مجموعة "قاري شاهد" بتفجير لغم مركب على دراجة بطريق "هده" بجلال آباد في سيارة للجنود الأمريكيين فدمرت السيارة وأرسل عدد من العلوج الصليبيين إلى جهنم وجرح عدد آخر منهم.

ولاية لوجر

ملخص لبعض العمليات التي تمت خلال الفترة الماضية

العاشر من شعبان: قام المجاهدون بقتل جاسوس اسمه (رحمة الله جاي بن بسم الله جاي) وهو مقيم بقرية بابوس (قلعة قس آب مربوطة بمركز لوجر) وقد قتل أمام بيته بإطلاق النار عليه بالمسدس وقد علم كل أهل المنطقة بهذا الخبر وأعلنته الإذاعة المحلية بلوجر.

وقد قام المرتدون بالقبض على المجاهدين الذين شاركوا في هذا العملية ثم أخرجوهم بعد ذلك من السجن والحمد لله.

الأول من ذي القعدة: قام المجاهدون في منطقة تنكي أغا جان بالولاية بالهجوم على نقطة عسكرية تابعة للمنافقين وقد فتح الله عليهم هذه النقطة وتمكنوا من السيطرة تماماً عليها وفر منها المنافقون وكان بجوار هذه النقطة نقطتان أخريان، وبعد سيطرة المجاهدين على هذه النقطة قام المنافقون في النقطتين الأخريين بالرماية على المجاهدين مما أدى إلى انسحابهم إلى قواعدهم مرة أخرى.

وقد قتل في هذه العملية اثنان من المنافقين وجرح عدد آخر والحمد لله.

١٠ ذو القعدة: قام المجاهدون في منطقة كُتشى - مكتب- بالولاية بقصف أربعة صواريخ على مركز للأمريكان وقد قتل في هذه العملية أربعة أمريكان والحمد لله.

دروس من حادثتي الرجيع وبئر معونة

بقلم الشيخ/ منصور الشامي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم ﷺ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... ثم أما بعد ،

في صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة فقالوا: يارسول الله! إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام؛ فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة أو عشرة من أصحابه منهم مرثد بن أبي مرثد وعاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة وعبدالله بن طارق وخالد بن البكير ﷺ.

فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل- بناحية الحجاز غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: "إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم"، فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت ﷺ فقالوا: "والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً"، ثم قاتل عاصم وصاحباه حتى قتلوا ﷺ، فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد، لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر، فمنعه الدبر - أي الزنابير- فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه؛ فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به.

وأما خبيب وابن الدثنة وعبد الله بن طارق ﷺ فاستأسروا فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القران، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه!

وأما خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة، فأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك بالله يازيد! أتحب أن محمداً الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: "والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي!" فقال أبو سفيان: "ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً"، ثم قتل ﷺ.

وأما خبيب بن عدي ﷺ فقد قالت ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب: "كان عندي خبيب حبس في بيتي، فلقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل، وقالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثي إلي بحديدة أتطهر بها للقتل، قالت: فأعطيت غلاماً من الحي الموسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل البيت، فقالت: فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ، ثم خلى سبيله.

ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه، وقال لهم: "إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا"، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: "أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة"، فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين، ثم رفعوه على خشبة، فلما استوثقوا منه قال: "اللهم إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا"، ثم قال: "اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً"، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يَشَأ يُبارِكْ على أوصال شِلوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ﷺ.[56]

وأما خبر بئر معونة فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن رعلاً وذكوان وعصيّة وبني لحيان، استمدوا رسول الله ﷺ على عدو، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القرّاء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا ما كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس: فقرأ فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رفع: "بلّغوا عنا قومنا بأنّا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا".

وكانت هذه الحادثة في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة أيضاً[57]

القــرّاء المقــاتلون

لما استمدت رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان رسول الله ﷺ على عدو أمدهم بسبعين من الأنصار، كانوا يسمون القراء؛ كما قال أنس بن مالك ﷺ[58]: وكذلك كان أصحاب الرجيع قراءً.

وليس المقصود بالقراء قراء القرآن فحسب كما درج عليه المتأخرون في اصطلاحاتهم، بل القراء في ذلك الزمان هم العلماء الذين قرءوا كتاب الله وعلموا معناه، فهؤلاء السبعون كانوا من علماء الصحابة ﷺ.

---

٥٦ سيرة ابن هشام ١٠٧/٢، البداية والنهاية ٦٩/٤، صحيح البخاري: كتاب المغازي، غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة.

٥٧ سيرة ابن هشام ١١٦/٢، البداية والنهاية ٧٨/٤، صحيح البخاري كتاب المغازي، غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة.

٥٨ صحيح البخاري (٤٠٩٠).

وكان العلم إذ ذاك مقترناً بالعمل، وكان العمل بأمر الله سمة لذلك المجتمع النبوي، لا فرق بين عالم وغيره في القيام بأمر الله، بل العلماء أشد عملاً ممن سواهم، ولم يكونوا يترفعون أو يعرضون عن أمر الله مهما كانت التكاليف، فكانوا سبّاقين إلى ساحات الجهاد ومظان الشهادة، متهيئين للقتال، صابرين في مواطن النزال.

وإذا لم يكن من المستغرب أن يكون العالم مقاتلاً في العصور المتقدمة - بل كان المستغرب خلاف ذلك- فقد صار كون الرجل يجمع بين صفتي العلم والقتال من الأمور المستغربة في الأعصار المتأخرة، وذلك لما حصل انفصال ونفار بين العلم والعمل والله المستعان.

إن العالم الصادق الذي يخشى الله ﷻ ليستحيي أن يعلم أمراً لربه ﷻ ثم لا يمتثله، فإنما المقصود من العلم العمل، وهو زينة العلم كما قال أبو حذيفة ﷺ لما صافّ المسلمون أهل الردة: "ياأهل القرآن زينوا القرآن بالفعال"، ثم حمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب ﷺ.[٥٩] والذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل كما قال الحسن البصري رحمه الله[٦٠].

وإذا كان يزري بالعالم أن يتهاون في ترك المستحبات وفعل المكروهات؛ فكيف إذا تهاون في ترك الواجبات وفعل المحرمات؟!

وإن من أعظم ما أمر الله به الجهاد في سبيله هذا إذا كان فرض كفاية فكيف إذا كان فرض عين؟!

إن العلماء هم قادة الأمة إلى كل خير، ومقدموها في ساحات الجهاد، الموقنون بنصر الله وقدرته لما آتاهم الله من العلم والفهم كما حكى سبحانه وتعالى عن قوم طالوت لما قال بعضهم: "لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ" أي استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماؤهم العالمون بأن وعد الله حق، فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عَدد ولا عُدد، ولهذا قالوا: "كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ"[٦١] - سورة البقرة ٢٤٩- .

وكما قال سبحانه وتعالى: "وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ" - آل عمران ١٤٦- قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: "ربيون كثير: علماء كثير، وعنه أيضاً: علماء صبر أبرار أتقياء[٦٢].

---

٥٩ البداية والنهاية ٣٢٠/٦.

٦٠ جامع بيان العلم وفضله ص ٧٠٢.

٦١ المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٨٢.

٦٢ المرجع السابق ص ٢٥٠.

وتاريخ أمتنا - بفضل الله- حافل بنماذج من العلماء العاملين الصابرين المجاهدين، الذين لا يحصون لكثرتهم، ولا تزال أمتنا بفضل الله قادرة على ولادة أمثال أولئك العلماء العاملين الذين يتمثلون بقول سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما- حامل لواء المهاجرين في حرب مسيلمة الكذاب عندما قالوا له: نخشى أن

نؤتى من قبلك! فقال: "بئس حامل القرآن أنا إذاً"[63].

صــــورتان متباينتــان

تجلت صور الوفاء لدى المسلمين في هاتين الحادثتين ناصعة مشرقة ذلك بأن الإسلام دين الطهر والوفاء، والخلق العظيم، والخير العميم، فانظر إلى تلك الحادثة التي تبهر العقول وتدل على سمو أخلاق المسلمين، ورفيع محاسنهم.

فعندما أرسلت تلك المرأة بموسى إلى خبيب مع صبي لها أخذ خبيب بيد الغلام فقال: هل أمكن الله منكم؟ فقالت: ما كان هذا ظني بك! فرمى لها الموسى وقال: "إنما كنت مازحاً"، وفي رواية: "ما كنت لأغدر"[64].

أي وفاء وسمو هذا؟! رجل يريد قوم أن يقتلوه ثم يتمكن من واحد منهم ليدرك ثأره ثم لا يفعل وفاءً!.

وفي إزاء هذه الصورة النبيلة تبدت صورة قاتمة للكافرين يغدرون بالمسلمين في حادثتي الرجيع وبئر معونة، ذلك بأن الكافرين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا دين لهم إلا الهوى والمصالح، ولا خلق لهم إلا حيث يوافق شهواتهم وأهواءهم.

وبرغم هذا الغدر الشائن تتجلى صورة أخرى تدل على طهارة الإسلام وعظيم أخلاق المنتسبين إليه.

فقد كان عمرو بن أمية الضمري ﷺ أسر في قصة بئر معونة، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقَرْقَرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بني عامر، حتى إذا نزلا معه في ظلٍ هو فيه، وكان مع العامريَّيْن عقدٌ من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو بن أمية فأمهلهما حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: "لقد قتلت قتيلين لأدينهما"[65].

ما أجَلّ دين الإسلام وأقومه! يُقْتَل سبعون من أصحاب النبي ﷺ غدراً وعمداً، ثم يُقْتَل من أولئك القوم الغادرين رجلان خطأً وبغير علم بعقدهم فيشق ذلك على النبي ﷺ مشقة جعلته يسعى وينشغل بجمع دياتهم من المسلمين وحلفائهم - آنذاك- من اليهود؛ حتى كادت يهود أن تقتل النبي ﷺ غدراً فكان ذلك سبباً في غزوة بني النضير.

---

٦٣ البداية والنهاية ٣٢٠/٦.

٦٤ انظر فتح الباري شرح كتاب المغازي/باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة.

٦٥ سيرة ابن هشام ١١٨/٢، الرحيق المختوم ص ٢٧٨.

ولا يزال الكفار يمارسون الغدر والخيانة في كل زمان، ولا يزالون يعقدون العقود، ويعدون الوعود؛ ثم لا يكون حظهم من ذلك إلا الغدر والخيانة، وإنما ينسجون تلك الشباك ليوقعوا أهل الإسلام في هاوية غدرهم، وأنياب مكرهم.

وإذا كنا لا نعجب من غدر الكافرين لأنه ليس بعد الكفر ذنب، فإننا نعجب من أهل الإسلام الذين يلدغون من جحورهم ثم يعودون إليها ليلدغوا، فكم مرة وَعَدُوهُم بالحرية والتقدم والمعاونة وغير ذلك من الأكاذيب، ثم هم يخلفون ويغدرون!

وبرغم طبيعة الكفر الغادرة التي يمارسها ضد الإسلام فإن الإسلام سيبقى طاهراً نقياً، سمياً وفياً؛ حتى لو كان العهد بيننا وبين أعدى أعدائنا، ولا نخون من خاننا كما قال النبي ﷺ: "ولا تخن من خانك"[٦٦].

احفظ الله يحفظك

يقف المشاهد مشدوهاً متعجباً من قدرة الله ﷻ وحفظه وهو يشاهد ذلك المشهد إذ يمنع الله الكافرين من الوصول إلى جسد عاصم بن ثابت ﷺ، بعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم، فحالت بينهم وبينه ثم أرسل الله سيلاً احتمل عاصماً فذهب به.

وذلك أن عاصماً كان قد أعطى الله عهداً أنْ لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول حين بلغه أن الدبر منعته: "يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أنْ لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته"[٦٧].

وكما جاء في وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك"[٦٨].

وحفظ الله يكون بحفظ حدوده بعدم تعديها، وحقوقه بتأديتها، وأوامره بفعلها، ونواهيه باجتنابها، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله تعالى في كتابه، قال تعالى: "هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ".

وقوله ﷺ يحفظك: يعني من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله، فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: "وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم"، وقال تعالى: "فاذكروني أذكركم"، وقال سبحانه: "إن تنصروا الله ينصركم".

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

٦٦ رواه الترمذي (١٢٦٤) وأبو داود.

٦٧ ابن هشام ١٠٩/٢، فتح الباري.

٦٨ صحيح أخرجه أحمد (٢٥٣٧)، والترمذي (٢٥١٦).

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله ﷻ: "لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ"، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هم الملائكة يحفظونه بأمر الله فإذا جاء القدر خلوا عنه".

ومن حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله؛ وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو متمتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة فعوتب في ذلك فقال: "هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر".

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته كما قيل في قوله تعالى: "وكان أبوهما صالحاً"، أنهما حفظا بصلاح أبيهما، قال سعيد بن المسيب رحمه الله لابنه: " لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ثم تلا هذه الآية: "وكان أبوهما صالحاً".

النوع الثاني - وهو أشرف النوعين- : حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان.
وكان من الدعاء والذي علمه رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ:"اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تطمع في عدواً ولا حاسداً"[٦٩].

وأولى الناس بحفظ الله بنوعيه هم أهل الجهاد الذين بذلوا مهجهم وأرواحهم لحفظ دين الله تعالى، وأخبار حفظ الله لهم كثيرة لا تحصى، كما حصل مع عاصم ﷺ، وكما حصل مع عامر بن فهيرة ﷺ بعد قتله وارته الملائكة ولم يره المشركون[٧٠].
وكما أخرج أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: "كانت امرأة في بيت فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزاً وصيصتها[٧١] كانت تنسج بها، قال: ففقدت عنزاً لها وصيصتها، فقالت: يارب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإني قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصتي، وإني أنشدك عنزة لي وصيصتي، قال: وجعل النبي ﷺ يذكر شدة مناشدتها ربها تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: "فأصبحت عنزها ومثلها"[٧٢]، ومازال المجاهدون يعاينون من حفظ الله لهم ما يزيدهم يقيناً، فكم من جسد شهيد شوهد بعد أمد طويل كهيئته يوم قتل، بل وبعضهم يطول شعره، وينزف دمه، فضلاً عن خروج الريح الطيبة منهم.

أحد المجاهدين أصابه صاروخ من طائرة أمريكية وهو على ظهر دبابة فأصيب إصابة بالغة شلت حركته فقرر الأطباء استحالة شفائه، فأجابهم بأن الأمر والشفاء بيد الله، فما مر وقت يسير حتى شفي بإذن الله مما أذهل الأطباء.

---

٦٩ حديث حسن أخرجه ابن حبان (٢٤٣٠).
٧٠ الخصائص الكبرى ج١ ص ٣٧٠.
٧١ الصنّارة التي يغزل بها.
٧٢ أخرجه أحمد (١٩٧٤٣) وهو حديث صحيح.

فليبشر المجاهدون بحفظ الله لهم وإكرامه لهم، وليستودعوا نفوسهم الله ربهم فإنه حافظهم كما قال النبي ﷺ: "إن الله إذا استودع شيئاً حفظه"[٧٣].

شهامة واحترام للقوانين

لما أخذ المشركون خبيباً أساءوا إليه في إساره فقال لهم: "ما تصنع القوم الكرام هذا بأسيرهم!"، فأحسنوا إليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه[٧٤].

ولما أرادوا قتله أخروه حتى انتهت الأشهر الحُرُم، ثم أخرجوه خارج الحَرَم فقتلوه.

قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: "وفيه ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحَرَم والأشهر الحُرُم"[٧٥].

لقد كانت قريش تتميز بالشهامة والكرم وكانوا يعظمون الحَرَم والأشهر الحُرُم، هذا مع شدة كفرهم وعداوتهم لله ورسوله ﷺ، المقصود أنهم تحلوا بصفات فاضلة، وعظموا قوانينهم، والمطلوب بعد هذا أن يقارن القارئ بين ما كانت عليه قريش، وما يمارسه كفرة اليوم من انتهاك للحقوق الإنسانية سواء مع الأسرى أم مع من سواهم، وما يزاولونه من اعتداءات سافرة على القوانين التي رسموها بأنفسهم؛ هذا بالنسبة للكفرة الأصليين كأمريكا وبريطانيا واليهود وغيرهم.

أما بالنسبة للمقارنة بين كفار قريش وتلك الحكومات التي تنتسب إلى الإسلام فلا مجال للمقارنة، فقد صار معلوماً مشهوراً لدى الناس أن تلك الحكومات لا ضابط يضبطها، ولا قانون يوقفها، ولا حياء يردعها عن فعل كل ما يشين بالحقوق الإنسانية ولك أن تتخيل رجلاً بين فكي تنين وهو يقول له مثل مقولة خبيب ﷺ: "ما تصنع القوم الكرام هذا بأسيرهم!"، فماذا يكون الجواب إلا مزيداً من العذاب، وطعناً بالأنياب، حتى اشتهرت بين الناس عن سجونهم عبارة: الداخل مفقود والخارج مولود.

سـهام الدعـاء

إذا كان الله ﷻ قدر أسباباً لحصول النصر والغلبة فإن من أعظم الأسباب التي تحدث النكاية في العدو "الدعاء".

حينما يتوجه القلب إلى خالقه بصدق اليقين وحسن الظن؛ فإن سهام الدعاء تصيب العدو في مقاتله، ذلك بأن الله على شيء قدير، وأن الله بيده ملكوت كل شيء، وأنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

وقد تضمنت حادثتا الرجيع وبئر معونة ثلاثة أنواع من الدعاء:

الأول الدعاء للنفس: كما قال عاصم ﷺ: "اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحم لي لحمي"[٧٦].

---

٧٣ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥١٧) وابن حبان في صحيحه (٢٣٧٦) وهو حديث صحيح.

٧٤ فتح الباري ج٧ ص٣٨٢.

٧٥ المصدر السابق ج٧ ص٣٨٥.

٧٦ انظر فتح الباري كتاب المغازي/باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة.

الثاني الدعاء على العدو: كما دعا خبيب ﷺ على المشركين وهو مصلوب (اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً).

وكما قنت النبي ﷺ شهراً في صلاة الصبح يدعو على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان[77].

الثالث الدعاء للمسلمين: كما قال النبي ﷺ دعا في الصلاة فقال: "اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين"[78].

والنوعان الأخيران من الدعاء من أنواع الجهاد في سبيل الله كما قيل في تفسير الدفع في قوله تعالى: " تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا" - أي ادفعوا بالدعاء- [79].

ولقد كان المسلمون يستعملون سلاح الدعاء لنصرة المسلمين وإهلاك الكافرين.

فمن ذلك أن البراء بن مالك ﷺ لقي المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يابراء إن رسول الله ﷺ قال: "إنك لو أقسمت على الله لأبرك" فأقسم على ربك! قال: "أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك"، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً ﷺ[80].

ومن أعجب ما روي ما جاء عن أبي معاوية الأسود وكان ضريراً وكان إذا أراد التلاوة في المصحف أبصر بإذن الله، قال أحمد بن فضيل العكي: غزا أبو معاوية الأسود فحضر المسلمون حصناً فيه علج لا يرمي بحجر ولا نشاب إلا أصاب، فشكو إلى أبي معاوية فقرأ: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" استروني منه، فلما وقف قال: أين تريدون بإذن الله، قالوا: المذاكير، فقال: أي رب! قد سمعت ما سألوني فأعطني ذلك بسهم، ثم رمى المذاكير فوقع[81].

ولقد بخل كثير من المسلمين بالدعاء لنصر المسلمين وهلاك الكافرين، ولقد شرط القرآن في رفع الحرج عمن ترك الجهاد لعذر أن ينصحوا لله ورسوله فقال ﷻ: "ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم".

ومما يدخل في النصيحة الدعاء للمسلمين بالنصر والحفظ، والدعاء على الكافرين بالهزيمة والهلاك، وإذا كان هذا الشرط على أصحاب الأعذار، فما بالك بمن لم يكن معذوراً ثم هو مع ذلك تارك لفريضة الجهاد بالسنان؟!

إن من حق المسلم على المسلم أن ينصره بكل ما يستطيع، وإن من المحزن أن يرى المسلم أخاه تنزل به الشدائد، ويرسف في الأغلال، ثم هو بعد ذلك لا يحرك ساكناً وينام ملء عينيه، ولا يخطر بباله أن يرفع يده:

أترقد آمناً والقوم أسرى وما ضجَّت يداك بالابتهال

---

٧٧ البخاري (٤٠٩٠).

٧٨ مسلم (٦٧٥).

٧٩ المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٢٥٨.

٨٠ رواه أبو نعيم والحاكم.

٨١ السير للذهبي ٩/٧٨.

ويجب التنبيه هنا على قضية خطيرة، وهي أن الدعاء وإن كان سبباً في النصر فإنه سبب من أسباب أخرى لا يكون النصر إلا باجتماعها، كما هي سنة الله سبحانه وتعالى في الأسباب والمسببات.

ولقد وقع بعض الناس في خطأ عظيم، فظنوا أن الدعاء والذكر والصلاة والعمل الصالح أسباب كافية في حصول النصر بغير حرب ثم لم يكتفوا بذلك فجعلوا ذلك شرطاً من شروط وجوب الجهاد، وأنه لابد من بلوغ رتبة عالية في الإيمان وبعد صلاح جميع الأمة - أو أكثرها- فعند ذلك يكون الجهاد؛ فعطّلوا الجهاد وعمر الفساد جميع البلاد.

وهذا المذهب في حقيقته فرع عن مذهب الجبر، وهو من مخلفاته التي ورثها الأمة الإسلامية، وهو مخالفة صريحة لأمر الله للأخذ بالأسباب المقدورة، ومن أعظمها الإعداد والقتال.

ومثل الذي يدعو يبتغي النصر والتمكين بغير قتال كرجل يدعو يريد ثمراً من غير أن يزرع، أو يدعو يريد ولداً من غير أن يتزوج، ولا فرق!

ومُطّلب الفتوح بغير حرب كمُطّلب الزروع بغير بذر

الثبات حتى الممات

ما أروع مشاهد الثبات والتضحية التي سطرت في صفحات هذه الأحداث تلك المشاهد التي تدع القلب حائراً لجمالها وسموها.

يقدم زيد بن الدثنة ﷺ للقتل فيقول له أبو سفيان: أنشدك بالله يازيد! أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي"[٨٢].

ولما صلبوه رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه فما زاد إلا إيماناً وتسليماً[٨٣].

وحينما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه أتحب أن محمداً مكانك قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه، فضحكوا منه[٨٤].

ولما طعن المشركون حراماً ﷺ في بئر معونة قال: الله أكبر فزت ورب الكعبة"، فكانت سبباً في إسلام قاتله[٨٥].

وكان رجل من الأنصار وعمرو بن أمية الضمري في سرح أصحاب بئر معونة فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً"، فأقبل لينظر فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة؛ فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر،

---

٨٢ البداية والنهاية ٧٢/٤.

٨٣ المصدر السابق ٧٣/٤.

٨٤ المصدر السابق ٧٣/٤.

٨٥ المصدر السابق ٨٠/٤.

فقال الأنصاري: لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لأخبر عنه الرجال، فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً[٨٦].

حينما يعرف القلب ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وما أعده للمؤمنين من النعيم وما أعده للكافرين من العذاب الأليم، حينما يعرف ذلك فإن مكامن الشوق تثور للقاء الله، والحظو برضوانه، ويجعل العذاب عذاباً هيناً على تلك النفوس المطمئنة التي تنتظر تمزق حجاب الدنيا الفانية لتنعم بجوار مليك مقتدر في حياة منعمة أبدية.

وهذا السمو الإيماني هو الذي بعث في سحرة فرعون من قبل روح الثبات. وبرد الصيف حينما قال لهم فرعون: "فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ" فأجابوا بغير تلكؤ موقنين "لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ".

وهكذا فإن شفرات الكفر الحاقدة، وأنيابه الغادرة لا قيمة لها في مقابل استعلاء الإيمان، ونفحات الرحمن بل يزيد ذلك المؤمنين إيماناً واحتساباً.

وتبدى في هذه الأحداث عظيم التضحية وصادق الحب لرسول الله ﷺ.

وهكذا المؤمن الصادق الذي ذاق حلاوة الإيمان يود أن يبضّع جسده بالمباضع دون أن يمس دين الله بشوكة فضلاً عن إصابة مقاتله.

فأين مثال هؤلاء الرجال في مثل هذا الزمان الذي لا يشاك فيه دين الله فحسب؛ بل تتوالى في نحره الطعنات، ويراد به كل المصيبات، فهل من خبيب ومرثد لا يبالي بما أصابه مقابل سلامة الدين وعز المسلمين؟!

وننقل هنا بعض الأبيات تناسب الحال الذي قتل فيه خبيب ومرثد رضي الله عنهما إذ قتلا مصلوبين مرفوعين رفعة في الدنيا والآخرة:

علوٌّ في الحياة وفي الممات ... بحقٍّ أنت إحدى المعجزاتِ
كأنَّ النَّاسَ حولك حين قاموا ... وفودُ نداك أيامَ الصِّلاتِ
كأنك واقفٌ فيهم خطيباً ... وكلهمُ وقوفٌ للصلاةِ
مددت يديك نحوهمُ احتفاءً ... كمدهما إليهم بالهباتِ[٨٧]

فحيح المنافقين

وكالعادة فإن المنافقين لا يكفون عن إبداء آرائهم السمجة، وكلماتهم المسمومة في وجه الإسلام وأهله، ليجدوا في ذلك متنفساً لحقدهم الدفين، وصداً عن دين الإسلام.

---

٨٦ المصدر السابق ٨١/٤.

٨٧ الأبيات لأبي الحسين بن الأنباري يرثي بها ابن بقية، انظر خبره في البداية والنهاية ٣١٢/١١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم فقال سبحانه: "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) أي لما يظهر من الإسلام بلسانه، "ويشهد الله على ما في قلبه" وهو مخالف لما يقول بلسانه "وهو ألد الخصام"، أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك[٨٨].

ولا يزال بعض الناس يسلك مسلك هؤلاء المنافقين، ويزاول مهنتهم، فتراه يشمت بأهل الإسلام من المجاهدين إذا أصيبوا، ويصفهم بالخسران وأنهم لم يحققوا الثمرة التي يريدونها، وأنهم لو سلكوا طرقاً أخرى لتحقيق مآربهم لكان خيراً لهم.

وهؤلاء الشامتون يرومون من ذلك صد الناس عن الجهاد، ولكن هذا لا يضر الصادقين من هذه الأمة، ولا يثنيهم عن عزمهم.

وليحذر المسلم أن تكون فيه تلك الخصلة من خصال النفاق، وهل يشمت ويسر لمصاب مسلم إلا منافق؟!

وفي الختام نذكر ما ذكره ابن حجر رحمه الله في فوائد هذه الغزوة وهي:

أن للأسير أن يمتنع عن قبول الأمان، ولا يمكّن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن، قال الحسن البصري رحمه الله: لا بأس بذلك، وقال سفيان الثوري: أكره ذلك.

وفيه الوفاء للمشركين بالعهد، والتورع عن قتل أولادهم، والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم، والصلاة عند القتل.

وفيه إنشاء الشعر وإنشاده عند القتل، ودلالة على قوة يقين خبيب ﷺ وقوته في دينه.

وفيه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه.

وفيه استجابة دعاء المسلم، وإكرامه حياً وميتاً، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل.

وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه، وفيه ما كان عليه كفار قريش من تعظيم الحَرَم والأشهر الحُرُم)[٨٩].

ومن فوائد قصة خبيب ﷺ فضل الصلاة فإنه جعلها آخر عمل يعمله في الدنيا قبل لقاء الله، حتى صارت الصلاة سنة لكل مسلم أريد قتله.

وصلاة الرجل في مثل هذه الحال وهو يعاين القتل، وينتظر لقاء الله لاشك أنها ستكون صلاة ذات طابع خاص يقبل فيها المرء على ربه بظاهره وباطنه، ويعتني بخشوعها وإخلاصها، لتقبل منه وهو في آخر لحظات حياته لعل الله يرحمه ويرفع درجته بها.

---

٨٨ سيرة ابن هشام ٢/١١١.

٨٩ فتح الباري شرح كتاب المغازي/باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة.

ولذلك قال النبي ﷺ:"إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودع، صلاة من لا يظن أنه يرجع إليها أبداً"[٩٠].

٩٠ الجامع الصغير للسيوطي (٧١٦).

قصيدة في رثاء شيخ الجهاد والمجاهدين في الشيشان

أبو عمر السيف -رحمه الله وجعل الجنة مثواه-

شعر: أبي كريمة

ورحل الطود الشامخ غريباً

أبو عمر السيف حوى من الاسمين نصيباً وحاز منهما حظاً وفيراً، فهو عمر في عدله وورعه وعلمه، وسيف في قوته وشجاعته وصرامته، جمع بين نور العلم وحياة العمل ونصيب الجهاد، وقل من نال هذا الشرف، فصبر في ساحات الوغى ومواطن النزال حتى شابت فيها مفارقه، وتقحم الأحوال حتى اشتكت الأهوال من فرط جرأته ولسان حاله يقول:

تمرَسْتُ بالأحداثِ حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذُعِرَ الذُّعْرُ

عاش غريباً ومضى غريباً، عاش جبلاً ومضى جبلاً، عاش صابراً ومات صابراً، فعلى مثله فلتبك البواكي ولتنُحْ النوائح، وما أعظم حقه على أمته، ولكن عجباً لأمة لا تعرف قدر رجالها، ويغيب عنها بدورها وهي لا تشعر ولا تنظر! فسلاماً أيها الشيخ الجليل، ووداعاً أيها السيف الصقيل، وفي الجنات - بإذن الله- يكون اللقاء وثمة - فقط- يكون تمام الهناء {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ} البقرة ١٥٤.

أرى صَبري يريدُ له اصطبارا وتذكاراً له ليلاً نهارا

فلم تزلِ النوائبُ والرزايا تطوِّقني وتدهَمُني جهارا

تصيبُ مقاتلي تُدمي فؤادي تُؤجِّجُ لي من الأحداث نارا

تَدَافعُ بين جنبيَّ المعاني فلا قولٌ يجيد لها انتصارا

فترجعُ بالجوى غماً بغمٍ فتهطِل دمعتي مني انحدارا

أما تدري أخي أني سقيمٌ فأُلفي من سماحتك اعتذارا

أتعذِلني على دمعٍ سخيٍ أجود به على طودٍ أنارا

تألّقَ نوره شرقاً كشمسٍ أماطَت ظلمةٌ كانت ستارا

أخو علمٍ وحلمٍ واعتدالٍ على هَدْي الهُداة مضى وسارا

تغطّيه المهابة في وقارٍ ويَكْسوه الحياءُ كما العذارى

وآدابٌ كتاجٍ من لُجَينٍ وأخلاقٌ له كانت فخارا

يقول الحــقَّ لا يخشى مــلامــاً ويُجــلي للــورى زيـفــاً تــوارى
رفــيقُ سـبيلـه حـبرٌ وســيفٌ وقِرْطــاسٌ يصــون بهــا المســارَ
إذا جـــنَّ الظــلامُ لــه نحيــبٌ ويــومَ الــرَّوعِ لــيثٌ لا يُبَــارى
بِمَ أرثيــك يا عُمَــرٌ وشعري تــولّى مـدبــراً يبـغــي فـــرارا
مضى الشَّهمُ الأشَمُ مضى غريباً وأبـقــى حســـرةً تُــذْكــي أُوارا
سَتَبْكيكَ الأرامــلُ والثكــالى وأيتـــامٌ ويبكيــك الأُســـارى
وتَرثيــك الثُّغــورُ ثُغــورُ مجــدٍ وعــادت بعــد غَيْبَتِــكم قِفـــارا
وهاتيـك المعاهــدُ قـد دهــاهـا دهــايا أذْهَبَــتْ عنـــها الــوَقــارا
وقطَّبــت المحــابِــرُ شــاحباتٍ وقــد كــان البهــاءُ لهـــا شِعــارا
تقمَّصَتِ المكــاتبُ في اكتئــابٍ لبــاسَ حِـدادها سُــوداً كُسَـــارى
وأنــَّـات اليَــراع تثــير بثّـــاً يُـذيــقُ القلــبَ وجْمــاً واعتصــارا
ليــوثُ الحـقِ في الشيشــان ممــا تغشّــاهم -أخــي- عــادوا حَيارى
وأبطــالُ الوغــى في كــلِّ صقــعٍ غــدا ثــوبُ الهمـــوم لهــم دِثــارا
فَمَنْ للمعضلاتِ وقــد تَــوالت بسـاحاتِ الوَغَــى تَتْــرا مــرارا
فيــا سَيفاً ســقى الإلحاد كأسـاً أصـــارتْ أهـــله قومـــاً سُــكارى
وداعـــاً حقّــه شــوقٌ وداعـــاً ففــي دَار الخــلودِ تــرى الخيـــارا
وصــبراً أمــةَ الإســـلامِ صـبراً لفَقْــدِ البـدر صــبراً واصطبـــارا
فــإن عــــزاءنا أنّـــا رأيْنَـــا كتــائبَ أمــتى تَجْــني الثمـــارا
وتُعْــلي بالسَّواعدِ صَرحَ حــقٍّ قويـــاً شــامخــاً يأبــى انهيـــارا
وتُحْــيي بالنَّجيــعِ لــه مــواتــاً فتخضــرُّ الربـــوع بــه اخْضِرارا
فأنْــزِل -ربنــا- نصــراً مبينــاً ولا تَــزدِ العِـــدا إلا تَبَـــارا

علامات فارقة على الطريق

واقع الجهاد في العراق وأفغانستان

بقلم: أسد الله الحسني

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن تقدم العمليات الجهاديّة في العراق وتأخرها هنا في أفغانستان، وتعدّدت الآراء وكثر المنظرون، والبعض تناقل هذا الكلام بقصد الغمز واللمز، والبعض بقصد التثبيط، والبعض الآخر بنية تشخيص الدّاء ووصف الدّواء، وممن شغلهم هذا الأمر أخٌ أرسل يسأل عن الوضع هنا بالمقارنة مع الوضع في العراق، فرأيت من باب تعميم الفائدة أن أُقدم ما كتبته لأخواني علَّ الله ينفع به، فقلت:

أمّا عن مقارنة الوضع هنا مع العراق، فحقيقة الأمر أنّهُ لا مجال لهذه المقارنة، من عدّة أوجه:

(أوّلها) - أن المجاهدين بالعراق جُلّهم أو قاطبتّهم من العرب الذين هم مادّةُ الدّين، وهؤلاء القوم قد أودع اللّهُ فيهم من الحميَّةِ أكثر مما أودع في غيرهم، وهؤلاء بينهم من الكوادر والإمكانات ما يؤثر إيجاباً على الوضع الجهادي هناك، على خلاف هنا، إذ أنَّ وجود هذا العنصر المهم من القلّةِ بمكانٍ يوازي عدم وجوده.

(ثانيها) - إنَّ الذين كانوا يحكمون العراق قبل الاعتداء الأمريكي عليه هم البعثيّون الكفّار، الأمر الذي هيأ جو النّقمة على الكفار عامّة، وجاء موقف الأمريكان من احتضان غالبية البعثيين، وحصر دائرة مطلوبيها في صدّام وعدد محدود من مُقرّبيه، وتبرئة بقيّةِ مجرميه، ليؤجج الشعور بالنّقمة ويكرّسها.

زد على ذلك وقوف غالبية الشيعة - إن لم يكن جميعهم- مع الأمريكيين الغزاة المعتدين، وهؤلاء الشيعة مسيطرون على كثيرٍ من منابع النفط العراقي، ومتسلطون على الموانئ البحريّة، وذلك بحكم توزّعهم الجغرافي، ممّا يخلق شعوراً بالكبت، يؤدي إلى الإحساس بالاختناق عند الناس، فيشحذ هممهم، ويستنهض عزائمهم، فاجتماع الأسباب الشرعية، والإحساس بالمهانة مع وجود الرغبة بالتخلّص منها، وصراع البقاء، يُزكي الحرب، ويضرم وطيسها.

أمّا في أفغانستان فعلى العكس تماماً، فالذين جلبوا الأمريكان ووقفوا في صفّهم هم أُناسٌ أضلّهم الله بعد سابقة خير وسابقة جهاد - اللهم يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على دينك- ، ولذلك عُمّي الحقُّ على كثيرٍ من الناس عوامّهم وخواصّهم، ولُبّس على كثيرين، وفُتِنَ كثيرون وضلُّوا، وأخذ الشيطان يردّدُ على ألسنة كثيرٍ منهم: لماذا نجاهد؟ أليأتي مجاهدون جُدُد يأتون بكفرٍ جديد؟!!

والحقيقة الّتي لا مجال لإنكارها أو تجاهلها أنَّ جماعة الطّالبان الّذين كانوا يحكمون البلاد إبّان الاعتداء الأمريكي على أفغانستان، أنَّ هؤلاء بما فيهم من خيرٍ ورغم ما بنوا للمسلمين من عزٍّ وشيّدوا لهم من مجدٍ وأحيوا لهم من كرامة، كان لهم من الأخطاء والتجاوزات في مجال تطبيق الشريعةِ وخصوصاً الظلم، والظلم

قليلُه و كثيرُه حرام، كيف لا وقد حرَّمه الله على نفسه وجعله محرَّماً بين عباده؟!، فقد قال النبي ﷺ فيما رواه عن ربّه أن الله تبارك وتعالى قال:
(يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...)"[91].

فهؤلاء الطالبان الذين تعللت أمريكا في اعتدائها على أفغانستان أنها جاءت لتخلص الناس من ظلمهم وشرورهم - على حسب زعمها وادعائها- وقد استطاعت لأمرٍ أراده الله أن تكسب الجولة، هؤلاء الطلبة هم المتصدّرون اليوم لأمر الجهاد في أفغانستان.
ولما كان من طبيعة البشر الجحود كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ في حديث طويل جاء فيه: ((فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذرِّيَّتُهُ)).
فالناس لا يذكرون ما للطالبان من أفضالٍ كتحكيم الشرع وبث الأمن والقضاء على حكم ملوك الطوائف وزراعة المخدرات، بل إنما يذكرون ما وقع منهم من ظلم، وكما قيل: [الأسى لا يُنسى].

لذلك تجد الكثيرين قبل أن يقدموا على الجهاد يردّدون قولاً يكاد يكون مشتركاً بينهم، [أأجاهد ليحكمني الطالبان من جديد ؟!] ولا غرابة في ذلك، فالكل تلقى هذا القول من وحيٍ واحد، وحي الشياطين.
(ثالثها) - أنَّ أمريكا وحلفاءَها عندما بدأوا اعتداءهم على كلا البلدين . أفغانستان والعراق . رفعوا شعارَ الرُّقيّ، وادَّعوا أنَّ همَّهم رفعُ مستوى الناس الاجتماعي، والنهوض بالشعبين إلى حيّز التمدن الحضاري، ليواكبوا ركب التقدُّم العصري والعلمي.

فالعراق مثلاً قبل وصول الحملة الصليبيَّة المعاصرة إليها، كانت في ظِلِّ حكم البعث الكافر تنعُمُ بنظام إداري متكامل، هيأ لها جُلَّ ما تحتاجه من خدماتٍ اجتماعيَّةٍ، كالماء والكهرباء والأمنِ والغذاء وانخفاضٍ نسبيٍ في أسعار المواد التموينية الحياتية وأسعار الوقود وغير ذلك؛ رغم ما كانت تعانيه من جرَّاء الحصار الاقتصادي والصحي الذي شُنَّ من قِبَلِ الكفرِ العالمي دَعِيِّ الإنسانية، والذي دام طويلاً وراح ضحيَّتَهُ الملايين، هذا الظلم الذي قادته أمريكا قبل اعتدائها العلني، إن نسيه بعض الغافلين فلن ينساه أكثر العراقيين.
ثُمَّ جاء رُعاة الخنازير بمدَنِيَّتِهمُ الَّتي فاقت - بلا شك- همجيَّةَ التتار، فدمَّروا البُنى التحتيَّة للبلدِ من جذورها فلا ماء ولا كهرباء، ولا دواء ولا أمن ولا غذاء، تسيُّبٌ أمنيٌّ، وأسعارٌ مرتفعةٌ وفسادٌ إداريٌّ، وكل هذا من عوامل تأجيج النِّقمةِ، وتهييجِ الحنق.
أمّا أفغانستان فأصلاً لا ماء ولا كهرباء، ولا بنية تحتية ولا فوقيَّة، ولا استعداء معلنٌ مسبقٌ من قِبَلِ عبّاد الصَّليب على عامَّة الشعب، كما حصل في العراق من حصارٍ طال العامّة وحصد أرواح الأطفال!

---

[91] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- :
[ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام] انتهى كلامه.
فمن السنن الكونية ألا يجتمع الظلم والحكم بشرع الله ،وإنا نرى أن حدوث الظلم كان من أسباب سقوط الإمارة الإسلامية في أفغانستان ، وإنا لنسأل المولى ﷻ إن عادت لنا الكرَّةُ أن نحكم بالعدل.

فمع مجيء هؤلاء المتجاوزين، لم يفرق الأمر كثيراً، بل على العكس فالخدمات اليسيرة القليلة من الغربيين، تَبْهرُ أبصار البعض، ويظُنها السُذَّجُ من الناس مداً كبيراً وعوناً عظيماً، وهذا يُضعف الرغبة والحافز على القيام بوجه المستعمر.

(رابعاً) - الإخوة في العراق بمنِّ الله وفضله وجدوا أن صدَّاماً ترك لهم ترسانةً من السلاح والذخيرة والمتفجرات لا تنفذ؛ أما عندنا فالله المستعان، فإنَّ إخواننا الطالبان وقت حكمهم البلاد فرَّغوا أفغانستان من السلاح والذخائر، وجمعوها في أماكن سهُل ضربها أو ضبطها من قِبَلِ الأمريكان وأتباعهم.

(خامساً) - الإخوة في العراق حينما بدؤوا ترتيبهم للجهاد سخَّر الله لهم دولة جوار إن لم نقل أنها ساعدتهم، فهي لا شكَّ غضَّت الطَّرفَ عنهم، وذلك لمآرب لها لا حُبَّاً لهم.
أمّا هنا فنحن نُحارِبُ ونُحارَبُ على عدّة جبهات ومن عدّة جبهات، فلا جارةً تؤوي، ولا ذو مأربٍ يغضُّ الطَّرف، بل الكلُّ يرمينا عن قوسٍ واحدة، نسأل الله أن يجعل ذلك زيادةً لنا في الأجر، وزيادةً لنا في البشرى، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

(سادساً) - الجهاد في العراق في دولةٍ عربيةٍ وبأيادٍ عربيةٍ، ونظراً لقربه من أماكن الدّعم والتمويل حظي بمدٍّ بشريّ كما أوردنا في البند الأوَّل، كذلك حظي بدعمٍ مالي وافرٍ لم يتسنَّ لنا ولا اليسير منه، وذلك لأنَّ البشر بطبيعتهم يميلون لدعم القريب، وكما قيل: [القريب من العين قريب من القلب].

(سابعاً) - نتيجةً لموقع العراق وتقدمه حضاريَّاً على أفغانستان، ووجود شبكات طرق مزفّتة تصل شمال العراق بجنوبه وشرقه بغربه، الأمر الذي سهَّل للصحفيين ومراسلي الشبكات الفضائية تغطية الأحداث في العراق ونقل الصورة كاملة أو جزء كبير منها، أضف إلى ذلك وجود كوادر من المصورين لدى الأخوة المجاهدين هناك تؤدي دوراً مباركاً في مجال الإعلام، ممَّا يعود إيجابياً على مسيرة الجهاد؛

أما هنا في أفغانستان فالتعتيم الإعلامي - المقصود وغير المقصود- ، وتهيب المراسلين من الحركة في المناطق الوعرة والمترامية والتي تفتقد إلى الطرق المزفّتة أو حتى غير المزفتة، إضافةً إلى ندرة وجود مصوِّرين بين المجاهدين، وندرة من يقبل هذا الأمر عن قناعةٍ منه أنهُ سيؤدي عن طريق ذلك رسالةً تخدم الجهاد والمجاهدين، ممَّا يعود سلبياً على مسيرة الجهاد، ولهذا البند ارتباط وثيق بالبند الأول.

الخلاصة: ممَّا سبق - ولعلَّ غيره كثير فاتني حصره- ، تجد أنَّ الله الحكيم الخبير هيأ للإخوة في العراق من الأسباب ما يدفع بعجلة الجهاد هناك بشكلٍ أسرع من هنا؛ وهذا لا يعني سوء الحال هنا لا بل على العكس ولله الحمد، فالأمور تتقدَّم نحو الأفضل وبسرعة، وبدأ التصعيد ينمو بتسارعٍ واضح، وبدأ إقبال الشباب الأفغاني على الجهاد وظاهرة إقدامهم على العمليات الاستشهاديّة تبشّر بأنَّ هناك صحوةً جهاديَّةً هائلة، وبدأ بعض المخمورين يفيقون من سكرة الدولار، ليجدوا أنفسهم خسروا الدنيا والآخرة، بينما سارع البعض للتوبة وشمروا عن سواعد الجد والجهاد.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وللقارئ كلمة

هدف الانتخابات في الدول الإسلامية

بقلم: قاري سفيان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فكلنا تابع في الآونة الأخيرة الأحداث التي وقعت في خضم الانتخابات التشريعية التي عاشتها الساحة المصرية والتي يعتقد الإخوان المسلمون أنهم حققوا فيها إنجازاً بتخطيهم مرحلة الحظر الذي كانوا يرزحون تحت وطأته زمناً طويلاً إلى مرحلة المشاركة السياسية رغم ما عانوه وما واجهوه من السلطات الحاكمة المستبدة التي أكدت - كأمثالها من الحكومات- على زيف شعارات تحملها لا رصيد لها في الواقع وقد تمثل ذلك فيما مارسته على أشخاص الإخوان من مصادرة الحريات والاعتقالات ومنعهم من أبسط الحقوق الديمقراطية التي يدندنون حولها، وإغلاق أكثر لجان التصويت في وجه مؤيدي الإخوان، ومحاولات الحزب الحاكم منع أفراد الإخوان من الحصول على مقاعد في المجالس النيابية إلى غيرها من الممارسات العتيقة المتسمة بالظلم والاستبداد.

لست الآن بصدد وصف الحالة أو المواجهات التي تحصل دائماً بين ممثلي الحكومات وبين ممثلي الجماعات الإسلامية ذات النهج الديمقراطي في التغيير، ولست كذلك بصدد مناقشة صحة أو خطأ هذا الأسلوب عند الجماعات الإسلامية، بل الذي أريده وأحببت الإشارة إليه هو أن هذه الأحداث الانتخابية التي حصلت في مصر هي في حقيقتها عملية تحركها أيادٍ خفية من الصليبيين تمهيداً لحقبة تاريخية جديدة في العالم العربي تحكمه الأحزاب الإسلامية على نمط ما يسمى بالإسلام المعتدل الذي يرفع شعارات من أهمها التقريب بين الأديان الذي من هدفه طمس معالم عقيدة الولاء والبراء والجهاد وما إليها من المسائل التي تحكم وتحدد علاقة المسلم بالكافر وهذا ما ينشده ويهدف إليه الصليبيون، والسبب في جعل هذه العملية تجري أدوارها على الساحة المصرية عدةُ اعتبارات من أهمها جعلُها نموذجاً يحتذى به في بقية الدول العربية.

إن التذمر الذي أصبح يعيشه الشارع العربي - خاصة- والشعوب الإسلامية - عامة- تجاه أنظمتها الحاكمة المتصفة بكل أنواع الظلم بات يقلق الصليبيين من الأمريكيين وحلفائهم وذلك من خلال ما يشاهدونه ويتابعونه من الميل الشعبي الكثيف وغير العادي إلى كفة التيار السلفي المجاهد، وانتشار عقيدة الجهاد واستشرائه في العالم الإسلامي، وارتفاع نسبة المجاهدين بأعداد هائلة، والتحاقهم بساحات الجهاد يوماً بعد يوم، وكلما حاول الصليبيون كبح جماح هذا المدّ الجهادي وبتر جناحه ومنعه من الانتشار كلما رأوا توالِيَ المصيبات وتتابع الفتن وتراكم البليات عليهم، الشيء الذي أدى بهم إلى البحث عن بديل يعيد ثقة الشعوب العربية بحكامها حتى لا يفاجئوا بسيطرة التيار السلفي المجاهد على الحكم في بلد من البلدان العربية في أي وقت من الأوقات، لأن سيطرة الأحزاب الإسلامية التي توصف بالاعتدال على الحكم هو في حقيقته سيؤدي إلى وقوف الكثير من أفراد الأمة الذين يجهلون حقيقة الإسلام معها، وخاصة إذا جاءت سيطرة هذه الأحزاب في مرحلة التذمّر النفسي الذي تعيشه الأمة نحو نظمها الحالية ممّا سيجعل النفوس تتعطش إلى هذا النوع من الإسلام وتميل إليه وتتعلق بدعاته وتتمسك بهم، وبالتالي يكون أعداء الله من الصليبيين قد حققوا أمرين:

الأمرُ الأول: النجاحُ في تكريس الديمقراطية في العالم العربي مع الإبقاء على ولاء الأنظمة العربية لهم وإن كانت تحكمها الأحزاب الإسلامية في الظاهر.

والأمرُ الثاني: التخفيفُ من وطأة الجهاد الذي استفحل ويوشكون أن يفقدوا السيطرة عليه، فهذه خطة يسعى الصليبيون على أن يترجموها إلى واقع يتفاعل مستقبلاً في الأيام القادمة.

والله أسأل أن يخيب آمالهم وأن يجعل تدميرهم في تدبيرهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله متم نوره ولو كره الكافرون

من قصص سـيوف الإسـلام (١)

سيف الله (أبى تميم المصري)

بقلم خادم المجاهدين/نظام الدين

(إن قصص هؤلاء وأقوالهم وأفعالهم تنير لنا الطريق وتزينه لمن أراد المسير إلى الله ﷻ فمن هؤلاء من تربوا في مسيرة الجهاد الأفغاني وبرزوا وتألقت نجومهم في سماء التاريخ ومنهم من جاء وذهب دون أن يذكره أو يعرفه أحد ويكفي أن الله يعرفه).

أحد هؤلاء البطل الشهيد أبو تميم المصري وكنت قد تعرفت على إخوانه ووالدته. أما أبوه فكان قد تُوفي - رحمه الله - وترك أربعة أبناء، أصغرهم أبو تميم، وكان إخوانه الثلاثة قد استلموا أعمال وتجارة أبيهم بعد وفاته وتقاسموا التركة والأموال فيما بينهم وتم إهمال نصيب أبي تميم بحكم عمره الصغير! وكنت في هذه الفترة قد زرتهم ولما علم أني قد جئت حتى آخذ أهلي وأستقر في أرض الجهاد جاء يسألني كيف يستطيع أن يذهب معي فساعدته ونصحته بالمسير إلى أرض الجهاد المبارك أرض العزة، فهناك يكون إعداد الرجال.

وبعد أن وصلت إلى أرض الجهاد بفترة جاءني أحد الأخوة المجاهدين وقال لي: إن هناك أخاً يريد مقابلتك، وكانت مفاجأة سارة إذ كان هو أبا تميم! فرحبت به وعرّفته على الأخوة المجاهدين، وبدأ تدريبه حيث علمّته كل ما يجب أن يتعلمه مما فتح الله عليّ به؛ ثم تدرب أيضاً في معسكرات الجهاد على كافة أنواع الأسلحة.

وفي هذه الفترة تعرف على الشيخ أبي الوليد المصري وأحبه الشيخ وقربه منه وجعله معه في المعارك التي كان يخوضها في أرض خوست. وكان البطل - رحمه الله- عادة يزورني في بيتي بمدينة ميرام شاه الباكستانية على الحدود مع أفغانستان، وكنت أفرح بقدومه فرحي بقدوم أحد أولادي، وكنا نُعدُّ له أنا وأهلي الطعام الذي كان يحبه.

ثم جاءت رسالة من إخوانه بعد ما سمعوا عن بطولاته وبلائه في الجهاد وقد أطلعني - رحمه الله- على ما جاء في هذه الرسالة من أن إخوانه قد ندموا على ما فعلوه معه وأنهم يقولون له تعال حتى تأخذ حقك من التركة والإرث وتزور أمك وإخوانك وأخواتك. وعندما سألته بماذا سوف يجيب عليهم قال: والله يا شيخ لا عزة لي إلا بالجهاد، ولو أعطوني أموال الدنيا كلها فسوف أكتب لهم أنني قد تركت لهم الدنيا بما فيها، منذ أن خرجت من مصر واشتريت الآخرة، ولقد تم البيع ولن أقيل أو أستقيل، فقلت له: ربح البيع يا بني والله إن تصدق الله يصدقك.

وقد خاض بعد ذلك رحمه الله معارك فتح خوست وجرديز بجوار الشيخ أبي الوليد وتحت قيادة القائد الميداني الشيخ جلال الدين حقاني وإخوانه.

ثم إن أخانا البطل قرر مغادرة تلك الجبهة واتجه ناحية مدينة جلال آباد حتى يشارك في فتحها وقد شجعته على ذلك خاصة أنه كان قد اكتسب كثيراً من الخبرات القتالية ويستطيع أن يساعد إخوانه المجاهدين هناك، وقد كانت شهادته هناك حيث كان يقود مجموعة من المجاهدين لفتح أحد مراكز العدو المحصنة المليئة بحقول الألغام وكانت عنده خبرة في تفكيك هذه الحقول، وفي الليل وقبل الهجوم على هذا المركز جلس رحمه الله يفك أحد هذه الحقول وجاءته منيته ليستريح من عناء الدنيا - إن شاء الله- ، ولينفجر فيه أحد هذه الألغام، ويقطع نصفه الأسفل ولينتقل إلى جوار ربه في مقعد صدق عند مليك مقتدر - نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله- .

قصـــص وعـــبرة (٢)

بقلم: أبي الهيجا الأسدي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد: فهذه جملة من أخبار السلف الصالح أحببت أن أذكرها ليكون فيها عظة وعبرة عملاً بقوله تعالى: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} الحشر ٢، وقوله ﷻ: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ} يوسف ١١١، ونحو ذلك من الآيات واقتداء بهديه ﷺ فيما كان يقصه على أصحابه من أخبار الماضين وقصص السابقين والله من وراء القصد.

أسد الإسلام وبطل معركة بلاط الشهداء (عبد الرحمن الغافقي)

كان عبد الرحمن الغافقي قائداً شجاعاً ، حازماً صارماً ، تقياً نقياً ، حكيماً مقداماً، يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى إنما يبدأ بإصلاح النفوس وتوحيد الصفوف، ولذلك كان يطوف بلاد الأندلس بلداً إثر بلد ويأمر المنادين أن ينادوا في الناس من كانت له مظلمة عند والٍ أو قاضٍ أو أحدٍ من الناس فليرفعها إلى الأمير عبد الرحمن الغافقي، ثم طفق ينظر في المظالم مظلمةً مظلمةً فيقتص للضعيف من القوي، ويأخذ للمظلوم من الظالم، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فكان كلما أمَّ بلداً من البلدان جمع الناس إلى صلاة جامعة ، ثم وقف يحضهم على الجهاد ويرغبهم في الاستشهاد، ويمنيهم برضوان الله تعالى والفوز بثوابه فلبث عامين كاملين يحرض الناس ويجمع الجيوش ويعد العدة لغزو الإفرنج، وكانت عدة جيشه الذي جمعه مائة ألف مجاهد، بين جوانح كل منهم قلب أسد وفي عروقه عزمة مارد فوجه جيشه شطر مدينة (أرل) في جنوب فرنسا ذلك أن (أرل) كانت قد صالحت المسلمين على أن تدفع لهم الجزية لكن أهلها نبذوا الطاعة ونكثوا العهد وامتنعوا عن دفعها، ولما بلغ عبد الرحمن الغافقي ضواحي المدينة بجيشه وجد أن (أود) أمير العاصمة (أكتانية) قد عبأ قواته الكثيفة عندها وتصدى لرد الزحف الإسلامي عليها ، فما لبث أن دارت بين الفريقين معركة طاحنة فزلزل المسلمون أقدام العدو وفرقوا صفوفهم ، ودخل الغافقي المدينة في هذه المرة حرباً فأعمل السيف في رقاب أهلها وغنم منهم غنائم لا تُحْصَى، أما القائد (أود) فقد فر بمن بقي حياً من جنوده، وطفق يعد العدة للقاء آخر، فقد كان يعلم أن معركة (أرل) كانت بداية الطريق للمسلمين لا نهايته.

ثم عبر القائد عبد الرحمن الغافقي بجيشه نهر(الجارون) في جنوب غربي فرنسا ، وطفقت كتائبه الظافرة تجوس في البلاد ، وأخذت المدن تتساقط تحت سنابك خيله كما تتساقط أوراق الشجر ، وأضاف المسلمون إلى غنائمهم غنائم أخرى لم ترها عين من قبل ولم تسمع بها أذن ، ثم حاول (أود) أن يتصدى لهذا الزحف الكبير مرة أخرى؛ فاشتبك مع المسلمين في معركة ضروس فما لبث المسلمين أن هزموه هزيمة منكرة فمزقوا جيشه شر ممزق، وقُتل من جنده من قتل، وأسر منهم من أسر ، ثم اتجه المسلمون إلى مدينة (بوردو) وكانت من أكبر المدن الفرنسية آنذاك وعاصمة (أكتانية) فخاضوا مع أميرها معركة لا تقل هولاً عن المعارك السابقة؛ وما لبثت المدينة أن سقطت في أيدي المسلمين، وما لبث أميرها أن قتل مع من قتل وأخذ المسلمون منها غنائم أخرى فأضافوها إلى غنائمهم السابقة.

وكان سقوط هذه المدينة سبباً لسقوط مدن أخرى من أهمها (ليون) و (بيزانسون) و(سانس) التي لا تبعد عن باريس أكثر من مائة ميل، فاهتزت أوروبا لسقوط نصف فرنسا الجنوبي كله في يد القائد عبد الرحمن الغافقي في بضعة أشهر... وفتح الفرنجة أعينهم على الخطر الداهم ودب الصريخ في كل مكان يدعوا العجزة والقادرين على الوقوف في وجه هذا الهول القادم من الشرق فاستجابت أوروبا لدعوة الداعي وأقبل الناس على الانضواء تحت لواء (شارل مارتل) ومعهم الحجر والشجر والشوك والسلاح.

وكان الجيش الإسلامي آنذاك قد بلغ مدينة (تور) التي كانت تختال على أكثر دول أوروبا بكنيستها الفخمة الضخمة العامرة بالآثار القديمة وكريم النفائس، فأحاط المسلمون بها إحاطة العقد بالعنق فما لبثت أن سقطت بين أيديهم على مرأى (شارل مارتل) ومسمعه... وفي العشرة الأخيرة من شهر شعبان سنة أربع ومائة للهجرة زحف القائد المظفر عبد الرحمن الغافقي بجيشه الجرار على مدينة (بواتييه) وهناك التقى مع جيوش أوروبا بقيادة (شارل مارتل) فوقعت بين الفريقين معركة فاصلة - لا في تاريخ المسلمين والفرنجة فحسب وإنما في تاريخ البشرية كلها- وعرفت هذه المعركة بمعركة بلاط الشهداء. وكان الجيش الإسلامي يومئذ في ذروة انتصاراته الباهرة لكن كاهله كان مثقلاً بتلك الغنائم التي انصبت عليه انصباب الغيث، فتوجس الغافقي منها خيفة على المسلمين فقد كان لا يأمن أن تشغل قلوبهم عند اللقاء، فلم يجد وسيلة خيراً من جمع هذه الغنائم في مخيمات خاصة وراء المعسكر قبل انتشاب القتال.

وقف الفريقان بضعة أيام كل منهما قبالة الآخر في سكون فلما طال الوقت على هذا الحال ووجد الغافقي أن مراجل الحمية تغلي في صدور رجاله آثر أن يكون هو البادئ بالهجوم متفائلاً بالنصر، فانقض بفرسانه على الفرنجة انقضاض الأسود الكاسرة، وانقضى اليوم الأول دون أن ترجح فيه كفة على كفة ولم يحجز بين المقاتلين إلا حلول الظلام، ثم تجدد النزال في اليوم الثاني، ولكن المسلمين لم ينالوا منهم وطراً، وظلت المعركة سبعة أيام على هذا الحال.

فلما كان اليوم الثامن كر المسلمون على عدوهم كرة واحدة لاح لهم من خلالها النصر، عند ذلك أغارت فرقة من الإفرنج على معسكرات الغنائم فلما رأي المسلمون أن غنائمهم أوشكت أن تقع في أيدي أعدائهم انكفأ كثير منهم لاستخلاص الغنائم فتصدعت لذلك صفوفهم وكادت تذهب ريحهم، فهب القائد العظيم يعمل على رد المنكفئين منهم ومدافعة المهاجمين، وفيما كان بطل الإسلام عبد الرحمن الغافقي يذرع أرض المعركة على صهوة جواده الأشهب كراً وفراً، ذهاباً وإياباً، أصابه سهم نافذ فهوى عن متن فرسه كما يهوي العقاب من قمم الجبال، وخر شهيداً على أرض المعركة؛ فاضطربت صفوف المسلمين واشتدت عليهم وطأة العدو ولم يوقف بأسه عنهم إلا حلول الظلام، فلما حل الصبح وجد (شارل مارتل) أن المسلمين قد انسحبوا من مدينة (بواتييه) فلم يجرؤ على مطاردتهم خشية أن يكون انسحابهم مكيدة من مكائد الحرب دبرت في الليل، فبقي في مكانه مكتفياً بذلك النصر الكبير.

لقد كان يوم بلاط الشهداء يوماً حاسماً في التاريخ أضاع المسلمون فيه أملاً كان من أعز الآمال، وفقدوا فيه بطلاً من أعظم الأبطال، وتكررت فيه مأساة أُحُدٍ - سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً- .وبعدها هزت أنباء فاجعة ذلك اليوم نفوس المسلمين في كل مكان هزاً عنيفاً، وعمَّ الحزن كل بلدة وكل قرية وكل بيت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ضـــربة قاصـــمة

شعر: أبي محمد الفلسطيني

كم عذَّبوا إخوة أو حاربـوا سفها　　من جاء يُعلي باسم الله مجـراها
وكم صـَبرنا على الدنيا تُطـاردُنا　　فمـا وهنَّـا ولا فـــردٌ لنـا تاهــا
وسْط القنــابل والطــاغوتُ يقصِفُنا　　مضـتْ كتـائبنـا للّـه مَسْــعاهـا
فخطَّطت ضـربةً للكفـر قاصمــة　　تُـزيــلُ هيبَتـه وتُطِيــح مبنـــاها
يا إخوة الحق يا مَنْ سار رَكْبُكُمُ　　نحو الجنـانِ لكـم نَسـتودعُ اللّه
مضيتمُـوا وقلـوبٌ من أحِبَتِــكـم　　تَصْحو وتَغْفو وباسـم الله دَعـواها
أقـدمتمُوا أيُّهـا الأحباب واتجهـت　　بكـم مراكِبُكم تَبغون أخراها
بـايعتمـوا أَسَـــداً للـــه دَعْـــوتُـه　　وقد بـكى فرحــاً لمَّا تلقـــاها
أمضـى بلَيْلَتـه يدعـو لَكُم لهجـاً　　يـا رَبُّ هذي نفـوسٌ نحـنُ بعنـاها
فـلا تُخَيِّـبْ لنـا يـا ربُّ سـعيَهُم　　ولا تخَيِّبْ لهـم يـا ربُّ لُقْيـــاها
جنـــائنُ اللهِ نــــادتْهـم ولاقَـاهُــم　　أحبـــابُنا فيهـــا إنْــسٌ وحُــوراها
حــارَ الطُّغــاةُ وأعيـاهم ملاحقـةٌ　　لموكبِ الحَقِّ لكن جمعُهُم تاهـا
فجنَّدوا كلَّ طـاغوتٍ لخدمتهـم　　وما اكْتَفَواْ بطغاةِ العُرْب إياهـا
وألْبُـوا الكُفـرَ والطغيـانَ أجْمَعَهُ　　لحَصْـرِ جَمْعٍ نـــوى لله بُنيـــاها
كمْ حاولوا جُوعنا لكنهم فشلوا　　فـالأرضُ تُنْبتَ والرحمنُ أسْقاها
كمْ حاولوا جهدهم لكنَّهم عَجزوا　　إغــراءَ قــادتِنـا أو قتــلَ مُـلاهـا
فحرَّضـوا كلَّ وَغْـدٍ من كلابِهمُ　　علــى دعاةٍ هـــدى اللّه يَرْعـاهـا

والحمد لله رب العــالمين.